الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة

Ministère de L'enseignement Supérieur Et de la recherche scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كليّـــة الآداب واللغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم:.....

Université 8 Mai 1945 Guelma

Faculté :des lettres et des langues

Département Lettre et Langue arabes

N° .....

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستـــــــــــــــر

رمزية المحكي البوليسي في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لـ عمارة لخوص

(التخصص: الأدب الجزائري)

إعداد الطالبتين:

✓ كريمة زعلاني

✓ إكرام مخلوفي

إشراف الدكتورة:

شمالي بشرى

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
راوية شاوي	أ. محاضر "ب"	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
شمالي بشرى	أ. مساعد "أ"	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945
ليلى زغدودي	أ. مساعد "أ"	ممتحنا	جامعة 08 ماي 1945

الموسم الجامعي: 2020 – 2021

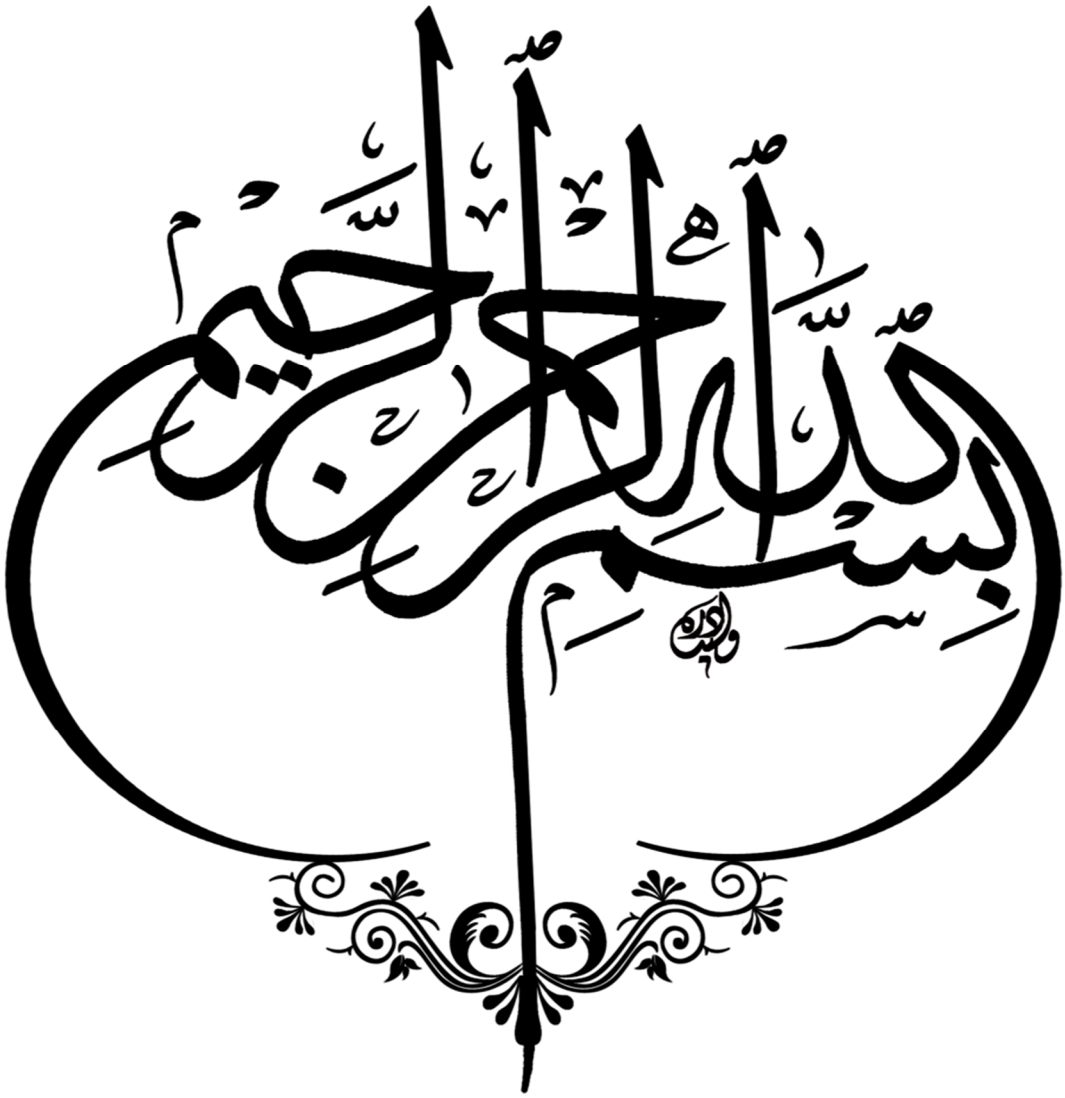
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

يقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

لا يستحق الشكر إلا الله تعالى القدير الذي سهل لنا سبيل العمل من فيض علمه الذي وسع كل شيء، فله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات وله الفضل كله في إتمام العمل

كما يقول خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

"مَنْ لمْ يشْكُر النَّاسَ لَمْ يشْكُر الله"

نشكر الأستاذة المشرفة: "شمالي بشرى" التي أعانتنا في جمع المادة العلمية وقدمت لنا الكثير من النصائح والتوجيهات

نشكر جميع الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسنا طوال مشوارنا الدراسي، وكذلك نشكر القائمين على المكتبة المركزية لقسم اللغة والأدب العربي.

نشكر جميع أصدقائنا وزملائنا الطلبة على دعمهم وإلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد.

الإهداء

أهدي هذا العمل:

إلى منبع الحنان، والشمس الساطعة

في حياتي، والتي دوما تحثني على الصبر لأن الصبر مفتاح الفرج، وترافقني

بدعائها إلى أمي الحبيبة

إلى البدر الذي يضيء طريقي، وينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح

والمثابرة ومنحني السعادة والأمان، في الحياة أبي الغالي

لكما كل التجلّي والاحترام

وإلى مصدر قوتي وقرة عيني إخوتي:

إلى كل أقربائي وأصدقائي الذين شاركوني فرحتي

بالفعل والكلمة الحلوة

الإهداء

أهدي هذا العمل:

إلى منبع الحنان، والشمس الساطعة

في حياتي، والتي دوما تحثني على الصبر لأن الصبر مفتاح الفرج، وترافقني

بدعائها إلى أمي الحبيبة

إلى البدر الذي يضيء طريقي، وينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح

والمثابرة ومنحني السعادة والأمان، في الحياة أبي الغالي

لكما كل التجلّي والاحترام

وإلى مصدر قوتي وقرة عيني إخوتي:

إلى كل أقربائي وأصدقائي الذين شاركوني فرحتي

بالفعل والكلمة الحلوة

مقدمة

مقدمة:

تلعب الرواية البوليسية اليوم دور تحفيز القراء على بناء نظرة نقدية، من خلال عملية إدخال القارئ في علاقة تساؤل مستمر دون اعطاء أجوبة ، وعلى الرغم من ذلك ظلت الرواية البوليسية زمن طويل مبعدة عن مجال الأدب ،فهي فن له أدواته الخاصة به لابد من أن تتوفر في من يغامر في هذا النوع من الكتابة، سيما أن المحكي البوليسي يعد مسارا في المجرى الروائي العربي، إذ تسعى الرواية العربية باستمراره الى احتواء جميع الانواع والاشكال التي تحتضن الخطابات النثرية للتعبير عن الثوابت والمتغيرات في السياق العام والخاص ،منها مكونات الرواية البوليسية، تحت رؤية ثقافية تستثمر تناقضات المجتمع ومعالجة التعقيدات المرتبطة بالحياة ، الى جانب أن مثل هذا النوع الروائي يساعد في الدراسات السلوكية عند المجتمعات, فأصبح المحكي البوليسي عنصر من عناصر التجربة الروائية العربية .وتعد ظاهرة المحكي البوليسي دافعا في حد ذاته لمحاولة تقديم دراسة في هذا المجال ،مع ذلك انتابنا في الوقت نفسه بعض التردد وشك في قدرتنا على القيام بمثل هذا العمل، سيما لعدم وجود دراسات سابقة في هذا الشأن، غير أننا مشغوفين بخوض هذه التجربة الموضوعية ، فكان علينا دراسة نموذج روائي عربي بوليسي، وان كانت دراسة الرواية في حد ذاتها ليست بالأمر الأسير .وعلى هذا فإن دراسة جاءت تحت عنوان "**رمزية المحكي البوليسي في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"** ساعية إلى محاولة الكشف عن بناء المحكي البوليسي وصيغه ومكوناته من خلال الإجابة عن التساؤل التالي : كيف تجلت صياغة المحكي البوليسي في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"؟ وهل يمكن لهذه الرواية أن تحوي عناصر فنية الرواية البوليسية كغيرها من الروايات؟ ام

تختلف والإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا لبحثنا منهجا تستعين به في التنظير والتطبيق فكان اختيارنا على المنهج التحليلي القائم على عملية الوصف ، لاستقراء الأحداث والحقائق بغية الإحاطة بجوانب الدراسة بشكل مطلوب.

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي بالدرجة الأولى وقد عنوناه "**تجليات المحكي البوليسي في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك** "وقد استعرضنا فيه عنصرين رئيسيين ، فكان الاول يشمل دراسة اهم العناصر الفنية لرواية البوليسية ، أما الثاني تناولنا فيه دلالات المحكي البوليسي وانهينا البحث إلى بخاتمة توصلنا فيها إلى جملة من النتائج المتعلقة بحقيقة المحكي البوليسي معتمدة من طرف السارد.

وكان اعتماد البحث في جانبه على مرجعين اساسين هما الرواية البوليسية العربية "لعبد القادر شرشار ،و"المحكي البوليسي في الرواية العربية لشعيب حليفي على غرار باقي المراجع الثانوية وقد واجهت في هذا البحث بعض الصعوبات أهمها قلة المراجع النقدية التي تناولت موضوع الرواية البوليسية، وهذه النقطة تضع الباحث في ضيق بسبب نقص الخيارات المتاحة، غير أن هذه الصعوبات كانت لنا بمثابة الحافز الإيجابي للمضي قدما في البحث .وفي الختام نقدم امتنانا وشكرنا كل من ساهم معنا في إنجاز هذا العمل عامة واستاذتنا المشرفة "شمالي بشرى" خاصة، وان يكون البحث قد قدم خطوة أولى ناجحة في سبيل الغوص في عالم الرواية البوليسية العربية واحمد الله ربي العالمين اولا وآخرا على فضله وتوفيقه، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول:

الرواية البوليسية: المفهوم والنشأة

- ✓ مفهوم الرواية البوليسية
- ✓ نشأة الرواية البوليسية
- ✓ الأشكال القصصية البوليسية
- ✓ الرواية البوليسية العربية
- ✓ الرواية البوليسية الجزائرية

1. مفهوم الرواية البوليسية:

الرواية البوليسية جنس من الأجناس الأدبية نادرة التناول في العالم العربي فهي "الرواية التي تدور أحداثها حول جريمة قتل غامضة بتكفل محقق خاص"[1] يفك ألغازها إلى أن يتوج عمله باكتشاف المجرم الحقيقي "وتقوم الرواية البوليسية عامة على حبكة تكاد لا تختلف من رواية إلى أخرى إذ تنطلق الرواية باكتشاف جريمة قتل غامضة فتتولى الشرطة الرسمية البحث عن دوافع الجريمة ،لتصل في نهاية المكلف إلى أثر المجرم الحقيقي الغير المتوقع"[2]

الرواية البوليسية من خلال هذا التعريف تقوم أساسا على جريمة ومحاولة فكها ،و هذا عن طريق توظيف الحبكة البوليسية التي تضفي على الرواية المتعة والتشويق ومن ثم الوصول إلى نتيجة معينة، وفي رأي آخر ذهب إليه بعض الدارسين على أن الرواية البوليسية من الأجناس الأدبية القريبة إلى "**الفانتاستيكية**" هي محكي بوليسي رفيق قارئه ولا يملك غير حظوظ للوصول إلى حل الألغاز، وقد رأى العديد من كتاب الرواية البوليسية كالاختفاء والغرابة والرعب، وهي نفسها عناصر نحبها في الرواية الفانتاستيكية.

إذن فهما جنسان أدبيان يشتركان في بنية الحدث والتركيب والبناء الفني لهاذان النوعان يتأسس على عنصر التوتر والغموض والغرابة.

(1) أحمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010، ص 208

(2) شعيب حليفي: شعرية الفتاستيكية، دار الأمان، الرباط، 1430هـ،2009م، ط1، ص 73.

هناك تعريفات أخرى لبعض النقاد عن المحكي البوليسي أغلب هذه التعريفات لنقاد غربيين كون منشأ وأصل الرواية غربي، وهو حديث النشأة عند العرب من بينهم تعريف" **لفروجي ميساك** ": **"إن الرواية البوليسية لحادث غريب"**[1]

نلاحظ من هذا التعريف أن "**فروجي ميساك**" حاول تحديد مفهوم الرواية البوليسية على أنها جنس أدبي منفرد جعل منها فنا جميلا لا يقدر عليه أحد أما في تعريف آخر: "فالرواية البوليسية محكي عقلاني عن بحث بوليسي بخصوص مشكلة سببها الأهم وجود جريمة"[2]

أما ما جاء به "**بول موران**" عن الرواية البوليسية على أنها تلك الرواية التي تعتمد على حس قوي بإثارة المتلقي العادي الشعبي وتشويقه ،غايتها التسلية والترفيه ،فهي تؤثر على المشاعر لدرجة الهز بطريقة تختلف على نظيراتها من الأجناس الروائية الأخرى ،فهي تقطع أنفاس القارئ معها لتصل حد التفاعل التام مع الأحداث .

في باب دراسات افتتحها "**شعيب حليفي**" (التخيل و لغة التشويق) مقاربة في البناء الفني للرواية البوليسية في الأدب العربي يتناول الباحث موضوعه ممهدا بالحديث على قدرة عن التخيل الروائي وما يحققه من توسع بفعل استثمارات اللامحدودية لكل العناصر الممكنة .فتوقف الكاتب على عنصر "التشويق" في المحكي البوليسي باعتباره محركا لباقي العناصر الفنية ومتوقفا عند نوعين كبيرين:

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية(أصولها وتاريخها وخصائصها الفنية وأثرها في الرواية العربية المعاصرة)، الدار الجزائرية للنشر، الجزائر العاصمة، ط 2015، ص 14

(2) شعيب حليفي: المحكي البوليسي في الرواية العربية، مختبر السرديات، العرب الدار البيضاء ، د.ط، 2012، ص 47

"الأول من نصوص تستثمر الحبكة البوليسية تقوم بدورها على لغة التشويق مع التركيز على عنصر الصراع و تأويلاته"[1]

إذن" **فشعيب الحليفي**" ركز على عنصر التشويق في الرواية البوليسية بشكل موجز و بقولنا أنها نص يضمن مطاردة الإنسان مجرد رواية لا تمت بأي صلة للرواية البوليسية .فالرواية البوليسية من خلال هذا التعريف تأسس على خطة محطمة تشد القارئ المنشغل يتبع خيوط الأحداث المثيرة فهي تمهيد لحقائق تأسس الجريمة فيما بعد.

كما يرى الناقدان "**بوالو**" و"**نرسجاك**"، عن الرواية البوليسية "أنها تحقيق تم بشكل ذهني هدفه إبراز أسرار حقيقية"[2]، ويقصد الناقدان هنا بقولهما "شكل ذهني" وهذا بطبيعة الحال كون الرواية البوليسية تعتمد على أساس علمي في حبك خيوط القصة فالكاتب بالدرجة الأولى يجب أن يكون شديد الذكاء في محاولة فك الألغاز بطريقة عبقرية ، وإكمال ذهن القارئ لفهم واستيعاب هذه الخيوط التي تؤدي في النهاية لحل القضية.

أما "**نتاليا**" الكاتبة الروسية في محاورتها مع الروائي الروسي" **أدامون**" بقولهما "أرى أن الرواية البوليسية لعبة يضاف إليها الأدب لعبة تسمى قوة الملاحظة والفهم السريع والنطق وتعلم القارئ. أن يفكر بطريقة تحليلية أن يفهم التاكتيك والبراعة في التخطيط وهي كذلك أدب لأنه توجد هناك كلمات لغة رد عليهما أدمون قائلا "إن لا أوافقك هذا كيف تستطيع أن تجميعي بين لعبة وأدب

(1) شعيب حليفي :الرواية البوليسية العربية، مجلة الفصول، العدد76، الهيئة المصرية للكتاب ،2009 ، ص11.
(2) المرجع نفسه، ص 15.

معا، إذا كانت لعبة وأدب معا، إذا كانت لعبة فهي رفض للأدب لأن الأدب ليس فقط مسألة كلمات ولغة كما تدعين"[1].

جعلت الكاتبة نتاليا الرواية البوليسية على أنها مجرد لعبة للتسلية وحصرت أدبية هذه الرواية سوى في اللغة والكلمات المكتوبة بها حيث يرى أدمون إجحاف في حق الرواية التي استاطاعت أن تحل موقعا داخل الأدب وحظيت باهتمام النقاد والدارسين والغربيين وكيف نالت مقروئية لا بأس بها، تجاوزت القارئ العادي إلى الناقد الباحث الأكاديمي، مما يؤكد جدارتها في الإنتماء للأدب من خلال مميزات الرواية أي أن لها خصائص تثبت أدبيتها وإنها مجرد لعبة.

(1) شعيب حليفي: الرواية البوليسية العربية، ص 15.

2. نشأة الرواية البوليسية:

إذا سلمنا أن فن الرواية البوليسية وليد الحضارة الصناعية، فإننا لا نعرف وبشكل قطعي أصولها الأولى إلا أننا لو تقصينا هذه الأصول لتشعب بنا البحث وأدخلنا في متاهات ربما تؤدي إلى نتيجة سلبية لا يمكن أن نتدارك أخطارها كلها .

يجمع الباحثون على أن أبا الرواية البوليسية هو (**أدغار ألان بو**) وأن عمرها لا يتجاوز القرنين، وهذه المقولة مشكوك فيها إذ أن هناك ما يثبت أن "بو" اقتبس فكرة الرواية البوليسية من المؤلف "فولتير زاديك"، ويكشف ذلك "فرانسيس لكسان" في قوله "حين أرسل أدغار ألان بو محققه "دوبان" للبحث في شارع مورغ عام 1841 ،تذكر مواهب الفراسية والحذق والتخمين التي امتازت بها شخصية البطل في رواية زاديك"[1]

"وربما كانت "ألف ليلة وليلة "أول نموذج لقصة الجريمة، أما في الأدب الحديث فأقرب الأمثلة قصتا (جرائم القتل في شارع مورغ) و(لغرمادي لوجيه) **"لأدغار الان بو"** وفي هذه الفترة ظهر لغز الغرفة المغلقة الذي تخصص وبرع فيه جون ديسوكار "[2]

جاء في معجم النقد الأدبي "**لجويل جارد وماريكلود هربيت**" حول مادة الرواية البوليسية "بأنها شكل روائي ظهر في القرن التاسع عشر مع التطور الحظري بالمدينة الأوروبية و تطور الشرطة وكذلك التقنيات الجديدة للبحث، بالإضافة إلى تقنيات السينما فهي تطرح غالبا لغز الجريمة أو عدة

(1) عبد القادر شرشار : الرواية البوليسية ، مرجع سابق، ص 36-37.

(2) أحمد توفيق : الرواية البوليسية العربية، مجلة الفصول، العدد76، الهيئة المصرية للكتاب ،2009 ،ص12.

جرائم قتل للحل"[1] و "كما أن كثيرا من القصص الشعبية العربية وحكايات ألف ليلة وليلة تعرض هي الأخرى في مضامينها على موضوع(الجريمة)، وتعددت أسباب هذا الإجرام"[2].

ونتائجه كما تعددت طرق البحث عن المجرم قصد الإنتقام أو فرض القصاص العادل .

إلا أن الرواية البوليسية الحديثة ابتعدت قليلا أو كثيرا عن معايير الرواية البوليسية الرائجة أو المتفق عليها حتى قبل أن من الممكن أن نكتب الرواية البوليسية بلا جثة ولا بوليس وهذا ما حصل فعلا مع روائيين بوليسيين جدد أمريكيين وفرنسيين واسبانيين وسواهم منهم **"جايمس"** ، **"موريس دانتك"** و **"روس توماس"** ، فقد أصبحت الرواية البوليسية الراهنة رواية اختيارية حرة ومفتوحة على مصادفات الكتابة، ورواية مشرعة الأفق والرؤية"[3]

كما أنه إذا نظرنا إلى الرواية البوليسية من جانب استمالتها على الجريمة دائما فإن أصولها الأولى عندئذ ترجع فيما تعتقد إلى بداية ظهور الإنسان حين قتل قابيل أخاه هابيل، وهذا ما ذهب إليه (فرانسوا ريفار) حيث يقول: "وبدون شك فلأن ميلاد النص البوليسي متصل بالإنسان الأول، وبالتحديد مع أول نواة في المجتمع وقد ورد أنه قتل أخاه هابيل"[4].

(1) شعيب حليفي : المحي البوليسي في الرواية العربية ،مختبر السرديات ،العرب الدار البيضاء ، دط،2012،ص37.
(2) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، مرجع سابق، ص37.
(3) المرجع نفسه ، ص42.
(4) المرجع نفسه ، ص43

فكانت أول محاولات إخفاء معالم الجريمة في التاريخ هي أول الحيل الإنسانية لإخفاء الدليل على ذلك الفعل الإجرامي : ففي القرن التاسع عشر تضافر عاملان ، كانا بمثابة الرافدين المباشرين للرواية البوليسية في أوروبا هما:

- *الموروث الشعبي*
- الموروث العالمي

حيث يقصد بالأول الرصيد الأدبي المتصل في النصوص التي كانت تتضمن في مجملها قصص المنبوذين ، بالإضافة إلى الميل للحكايات الإجرامية التي كانت تشد فضول الطبقة الشعبية .

أما العامل الثاني فيقصد به الأعمال الفنية ذات المستوى الرفيع والتي أثرت بشكل أو بآخر في نشوء وتطور الرواية البوليسية."[1] أما "**أنطونيو غرامشي**" فهو أحد رواد المهتمين بالرواية البوليسية، فهو مؤسس الحزب الشيوعي في بلده.

حيث كان قابعا بأمراضه وآلامه في غياب السجون القاسية أواسط ثلاثينيات القرن العشرين، فالبنسبة إلى "**غرامشي**" ولدت الرواية البوليسية عند حدود ما يسمى "القضايا الكبرى". مرتبطة بالتحديد مع ذلك النوع من روايات المغامرات التي تميل "الكونت دي مونت مريستو" النموذج الأمثل، "فنحن هنا أمام واحد من تلك القضايا وقد اتخذت سمة رواية تلونها كل تلك الإيدولوجيا الشعبية المتعلقة بغضب الشعب من الطريقة التي تدار العدالة بها في ارتباط مع الأهواء السياسية."[2]

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، مرجع سابق، ص45.

(2) إبراهيم العريس : الرواية البوليسية ، فضاء السلطة و فضاء الشعب ، جريدة الحياة ،الأربعاء 28 ديسمبر ، كانون الأول 2016.

إذن "**فأنطوان غرامشي**" ذلك المفكر الذي كتب خلال سنوات سجنه "دفاتر السجن" على التاريخ والسياسة والأدب والفنون، كما تحدث الأدب البوليسي بقدر كبير من الوعي وربطه بالمجتمع.

كما نرى أن "المعاناة التي عاشها "**دوستو فيسكي**" في السجن و المنفى أثرت على حياته الفكرية تأثيرا خطيرا فأصبح يذكر في مصير البشرية وأقدارهم والعدالة الإجتماعية والحب والقيم الإنسانية وموقف الإنسان من الموت والنظم والعقائد الدينية.

والجريمة وعلاقاتها بالمشاكل الإجتماعية والأخلاقية للواقع ،و هي المشكلة التي جذبت اهتمام "**دوستو فيسكي**""[1]، أما بين الحربين البوليسية الأولى والثانية ظهر ما يسمى بالعصر الذهبي للرواية البوليسية ، و قد اتسم عصر الرواية البوليسية الذهبي في هذه الفترة ألا يكون المحقق بطل الرواية شرطا محترفا ، بل يكون موهوبا أو قريبا من العبقرية لكشف القاتل ."وسمي هذا العصر بالذهبي لبروز أربع كاتبات لمعن بين الحربين العالميتين على الأخص في هذا النوع من الأدب هن "**أغاثا كريستي**"، "**دورونتي ال ساير**"، " **نجابومارش**" و"**ماريغري النفهام**" لكن أشهرهن "**أغاثا كريستي**" التي كتبت عدة روايات كان أبطالها محققين جنائيين كما أن رواياتها اتسمت بالأحاجي التي تخبر القارئ وتقوده مرات ومرات في غير طريق بلوغ الحقيقة. ومن أشهر رواياتها "جريمة على قطار الشرق السريع[2]" 1934" ثم لم يعد هناك أحد 1939، وهنا دخلت هذا النوع من الكتابة أنماط وأساليب جديدة زادت من نسبة القراء لهذا النوع الأدبي. فاستخدمت "**كريستي**" تقنية الأحاجي المعقدة بمهارة

(1) سميرة قدورة: صليحة بوودن، الجريمة و العقاب، دراسة سردية ، شهادة ماستر ، إشراف ليلى جباري ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة قسنطينة ، ماي 2011، ص42.

(2) عثمان حسن : رواية التقلبات الإجتماعية ، ملتقى الخليج الثقافي ، 27-04-2015.

شديدة الذكاء، وهو الغالب الذي غلب على مجمل الأعمال الأدبية لكتاب غربيين تمتعوا بمهارة السرد و أناقة اللغة و التشويق.

3. الأشكال القصصية البوليسية:

تتعدد المسميات أو الأنواع للرواية البوليسية، حيث يمكن الحديث عن أشكال الكتابة القصصية البوليسية من خلال المنجز النصي السائد على الترتيب التالي:

أ. رواية الجاسوسية:

يستفيد هذا النمط الروائي من تقنية النص البوليسي في جانب التحقيق الذي يأخذ في الرواية البوليسية مسارات معقدة، بعد أن أصبح الصراع في هذا النوع من الكتابة – رواية الجاسوسية – صراعا بين الدول والمعسكرات خاصة أثناء الحرب الباردة بمظاهرها المختلفة شرقا وغربا"[1]، ففي الرواية الجاسوسية قد يختلط الواقع بالخيال وما هو ممكن قبولها بالعقل بما يرفضه كل منطق فهو أدب غذته أحداث قبل القرن العشرين وما جرى فيه من حدثين أسهما في تطور الرواية الجاسوسية، وهما الحربان العالميتان، الأولى والثانية وما تبعهما من حروب، إذ أفرزت الصراعات بين أجهزة مخابرات الغرب، وشخصيات روائية اكسبت جماهيرية هائلة ومن أشهرهم على الإطلاق "**جيمس بوند**" والتي تحولت إلى شخصية عالمية من الافلام السينمائية، وشخصية "**أدهم صبري**" و"**رأفت الهجان**" عند العرب ولدت آلاف الشخصيات بين صفحات الكتب، واحتلت الروايات التي تدور حول الجواسيس والخونة والأحداث المثيرة والقوى الهائلة التي تتمتع بها شخصيات تلك الروايات مكانة كبيرة لدى القراء، ولذلك من يتحدث عن الرواية البوليسية يجب أن يكون عمل بهذا المجال أو قرأ كثيرا عنه، حتى يفيد القارئ ويشوقه وأن يكون عالما بالأدوات المستخدمة في التجسس وهي مختلفة ومتغيرة بين

(1) عبد الرحيم مؤدن: القصة البوليسية في الأدب المغربي الحديث، مجلة فصول، ص 84.

الماضي والحاضر، والصعوبة قد تكون في وضع الحقيقة كما هي كما جاءت، أو جعلها من طيف الخيال هذه كأصعب عقبة يمكن أن يتعرض إليها كتاب الرواية الجاسوسية.

وتجسد شخصية "**جيمس بوند**" المثال الحي لأدب التجسس عند الغربيين، إذ يمثل البطل الخارق الجريء المغامر، الرياضي، خفيف الظل، الجذاب، الأنيق، المنقذ الذاكرة، الواثق من نفسه، القادر على المنازلة والقتال، المنتصر دوما، وظلت صورة "**بوند**" مكرسة أنموذج ثقافي دال على حضارة الغرب في سلسلة أفلام طوال نحو ثلث قرن أو أكثر، إذ كان اختيار النجم[1] البطل للمرة الأولى في اسطنبول "المدينة الفاضلة" للروائي "**فليمنغ**" عام 1963 ثم "سقوط السماء" عام 2012 ...

وكانت "**دارنيجوين**" الإنجليزية قد أصدرت كتابا بعنوان: "كتاب، وجواسيس، وقتلة"، أشترك فيه عدد من المحررين على رأسهم "**وليام سكاميل**" ويتناول الكتاب الدراسات عن كتاب ومؤلفين عملوا جواسيس وعملاء استخباراتيين[2].

وعلى الرغم من ارتبط اسمه بأفلام التشويق البوليسية، كان "**ألفريد ميتشوك**" مهتما بسينما التجسس فمن أعماله "الدرجات" ألـ 39 و"**السيدة لغنفي**" وهي أفلام مهمة ضد النازية وعملائها، حيث حققت هذه الأخيرة علامات بارزة في هذا المضمار وخلال فترة الحرب الباردة فقد برز اسم "جون لوكاريه" في رواية "الجاسوس الآتي من الضجيع" عام 1965، إذ فرد إلى الاتحاد السوفياتي

(1) ناصر أحمد: الجاسوسية في الدراما والأدب، ملتقى شذرات، سبتمبر 2013 www.shatharat.com.

(2) ناصر أحمد: الجاسوسية في الدراما والادب، ملتقى شذرات، 1 سبتمبر 2013.

بدافع الفضول في اكتشاف ما كانت عليه الحياة خلف الستار الحديدي إذ يعد أحد أساتذة التخيل الروائي البوليسي المهين.

عربيا لعل أبرز الروايات البوليسية التجسسية والتي اعتبرت تدشينا لميلاد جديد لروايات ذلك الأدب وبوابة جديدة فريدة تفتح بقوة لأول مرة هي التي كتبها الراحل المبدع "**صلاح مرسي**" وكان على رأسها: (كنت جاسوسا في إسرائيل ... رأفت الهجان).

من التحليل النفسي من جهة، ومن النص العاطفي من جهة ثانية، بالإضافة إلى ذلك المعجم الوظيفي المرتبط باللغة اليومية البعيدة عن التقعر البلاغي أو الخلقة اللغوية"[1]، حيث تكمن نقطة انطلاق هذا النوع من الروايات بوقوع الجريمة والعثور على الجثة في مكان ما، والتحقيق يبدأ بالوقوف على معنى الحادثة وتوجيه المسؤولية عنها إلى شخص أو مجموعة كما يحصل في المآمرة.

وتحتوي على عناصر أساسية في كل نص بوليسي، لا تكاد رواية تخلو منها ونعني بها: المحقق، المجرم، الضحية، غذ تمثل المحاور الأساسية في الرواية وأشهر من يمثل هذا الاتجاه من الكتاب الروائيين[2].

1. **أدغار آلان بو** Edgar Allan Poe
2. **جابريو** Gabrion
3. **كولون دوي** C. dogole

(1) عبد الرحيم مؤدن: القصة البوليسية في الأدب المغربي الحديث، مجلة فصول، ص 85.

(2) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 61.

4. أ. **فريمنا** A. Freman

5. **جاستون لورو** G. leroux

ومن خصائص نص الرواية البوليسية التقليدية يذكرها لنا **"شرشار"** ما يلي:

1. ظهور المحقق في جو الهوايات البوليسية كرجل هاوٍ:

والتي تحولت بعد إلى دراما تلفزيونية لاقت نجاحا معتبرا، ثم أتت روايته الثانية "الحفار" وقد أبدع **"موسى صالح"** الذي عمل مع جهاز المخابرات العامة المصرية عددا من الأعمال الفنية أبرزها **"رأفت الهجان"** في ثلاثة أجزاء[1].

واشتهر أيضا **"نبيل فاروق"** بالأدب البوليسي والخيال العلمي صدرت له مجموعة كبيرة من القصص في شكل كتب **"جيب"** فقدم عدة سلاسل قصصية من أشهرها "ملف المستقبل" و"رجل المستقبل وكوكتيل" ولاقت قصصه نجاحا كبيرا في الوطن العربي – خاصة عند السباب المراهقين، إذ مثلت شخصية **"أدهم صبري"** في "رجل للمستحيل" علامة فارقة في الشخصيات التي ساهمت في كتابة تاريخ ملفات المخابرات المصرية ومع الفجر، كنت أخط أمامي ذلك الاسم الذي تحمله الشخصية من لحظة كتابة هذه السطور ... "أدهم صبري" ... يمنها منها ... ولأن تأجيل المواجهات هو الخطوة الأولى للفشل فقد استعنت بالله وبدأت أكتب أول قصة بعنوان: "الإختفاء الغامض"..[2]

(1) نبيل فاروق: رجل للمستحيل، وأنا، ص 29.

(2) المرجع نفسه، ص 31- 32.

2. الرواية البوليسية التقليدية:

وهي "الرواية التي تحترم قواعد التأليف في القص البوليسي، من جريمة وتحقيق ومطاردة ونهاية تكشف أسرار الجريمة، ومنه الطبيعي أن تخلو القصة.

- شخصية المجرم غير أساسية، يستغني عنها كلية، ويمكن أن تكون حيوانا (غوريلا) في قصة "قتيلتا شارع مورغ".
- المحقق شبيه بالباحث في المخبر، يلجأ إلى بعض الفرضيات، ويقارن نتائجها للوصول إلى نظرية مؤقتة.
- يربط بين الملاحظات والظواهر المادية والنفسية وما توصل إليه من نتائج في المرحلة السابقة[1].

وفي هكذا نوع كثيرا ما يكون أبطال الروايات البوليسية من سلك الشرطة، إذ يصور الكاتب بأدق التفاصيل العمل الرتيب الذي يرسمه قسم الشرطة الجنائية، بغية كشف المجرم وجمع الأدلة والقرائن للوصول إلى ذلك.

3. الرواية السوداء:

ظهرت في عشرينيات القرن الماضي حيث أدخلت مجلة "القناع الأسود" طراز أمريكي واضحا من الألغاز، وتتمحور معظم قصصها على المجرم الشديد المراس والإجراءات المشوقة والعنف الأسلوبي

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 62.

القصصي النابض بالحياة، وتزعم هذه الحركة "**ديشل هميت**" وتبعه "**ريموند شنادلر**" بعد عقد من الزمن.

وتدور الشخصية المحورية في الرواية السوداء حول المجرم واشتهر من يمثل هذا الاتجاه:

1. **ديشل هاميت** D.Hammet
2. **ريموند شنادلر** R.Chandler
3. **جامس هادلاي** J.Hadley[1]

وتعتبر الرواية السوداء نوعا أدبيا واسع الانتشار والشيوع، يمر بفضل أوقاته ويمكن أن يجد فيه القراء موضوعات مختلفة ترضي جميع الأذواق، إذ تضم الرواية السوداء عناصر أساسية كالجناة، وهم غالبا من الأشرار أصحاب السلوك السيء، وسميت بهذا الاسم للغموض الذي يصاحبها وصعوبة فك ألغازها ولأن أحداثها تدور في ظلام الليل عادة لارتباطها بالجريمة ومتعلقاتها، وربما العمى عن رؤية لحل الألغاز والأحداث وهوية أشخاصها، إذ ان تفاصيلها تجعلك تترك المصابيح مضاءة كمعادل موضوعي للغموض والرعب والعتمة التي تثيرها قراءتها، إذ تعد فرع من فروع رواية المخابرات لما يلاقي أبطالها من أهوال وشدائد، ومن بين الخصائص الفنية للرواية السوداء نذكر:

1. يتحول المحقق من رجل بحث وتحليل الظواهر المادية والنفسية، إلى مطارد عنيف يمكن أن يلجأ إلى القتل للدفاع عن نفسه أو موكله في جو مليء بالعنف والخوف.

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 61.

2. تتحول عملية التحقيق إلى مطاردة فعلية تسبه مطاردة الصياد لصيده.

3. يكون التركيز في هذه الرواية على المجرم باعتباره الشخصية الصانعة للحدث والموجهة له، يشبه المحقق في كل شيء إلا أنه يختلف عنه في الباعث والغاية من ارتكاب الجريمة، أو جرائم عدة، وقد تصل في بعض الروايات إلى جريمة في إحدى روايات "**د. هميت**" "الحصيد الأحمر"[1].

والرواية السوداء "تنقسم عادة إلى فئتين متقابلتين: فئة الضحايا الأبرياء الذين يكادون لا يفقهون من غرائب ما يقه لهم شيئا، وفئة المجرمين المتوحشين الذين يتعطشون إلى الدم فيندفعون فيما يشبه الجنون إلى القتل"[2].

4. الرواية التشويقية:

إذا كانت أنواع الروايات البوليسية تحتاج إلى كلمات العقدة في النهاية حتى لا تضيع لذة القراءة على القارئ، فإن أشد أنواع الرواية البوليسية حاجة إلى هذا الكتمان هي روايات التشويق " suspens"، فهذا النوع يحبس نفس القارئ بما فيه من تسلسل مفاجآت وانقلاب مواقف، ولذا يحرص النقاد على عدم كشف العقدة في مقالاتهم، فيما يحرص القارئ على عدم قراءة النقد عادة قبل قراءة الرواية نفسها، ويحوم صلب الشخصية المحورية في الرواية التشويقية حول الضحية، وأشهر من يمثل هذا الاتجاه من الكتاب والروائيين:

1. **ستنلاي جاردين** S.Garden

(1) عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 63.

(2) محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص 218.

2. **ويليام اريش** W.Irich

3. **أجاثا كريستي** A.christie

4. بوالو نرسجاك B.Narcejac[1]

وتهد رواية "نحن المحققون" لـ "**أجاثا كريسني**" مثالا يحتذى به في الروايات التشويقية المشهورة على مستوى العالم، إذ تدور أحداثها في قاعة محاكمة رجل متهم بجريمة قتل لعب دور البطولة فيه "**تايرون بادرو**" و"**مايرن ديترش**" و"**تشارلر لوكون**"[2].

فهي رواية قوامها التشويق والإثارة، حيث تقدم الرواية في صورة ألغاز الجريمة التي يسعى القارئ إلى حلها طوال فترة قراءته للرواية، أو مشاهدته لها بالبحث عن المجرم من خلال تتبع الأحداث ومسارها، ومن الخصائص التي تتميز بها الرواية التشويقية نذكر ما يلي:

1. رواية الضحية. تتركز الأحداث حول هذه الشخصية باعتبارها شخصية محورية، يراعى في هذا الاتجاه العناية في تصوير الصراع والتركيز عليه بين الضحية والمجرم.

2. يحدد عنصر التشويق في هذه الرواية بالتركيز على عملية مطاردة الضحية ونصب الشراك لها، لحظة القضاء عليها.

3. شخصية الضحية تبدو في كل الأعمال بريئة، قاصرة. . الخ.

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 62.

(2) فيكتور سحاب: الرواية البوليسية، مجلة الثقافة، ص 9.

4. تقديم الحجج الكفيلة وإدانة المجرم بكيفية منطقية مدعمة بالأدلة المادية[1].

وخلاصة القول نقول بأن هناك أنواعا كثيرة للرواية البوليسية كالرواية ذات اللغز مثلا، إضافة إلى الرواية التي تكتب في السجون أو عن السجون، تلك التي تتابع منهما بريئا أدين في جريمة لم يرتكبها وتذهب به إلى حبل المشنقة، أو يعده عنه في آخر لحظة.

4.الرواية البوليسية العربية:

إن القراءة المتفحصة لأدبنا العربي تفاجئنا بالعثور على أول الكتابات البوليسية في التاريخ، والكامنة في بطون كتب التراث العربي وفي مناهل أدبنا الأول فيرى بعض النقاد أن رواية "ألف وليلة" المجهولة المؤلف في الأصل هي رواية بوليسية هدفها الأول الهروب من قتل "**شهريار**" لزوجته "**شهرزاد**" الذي اعتاد قتل زوجاته فهي في مجملها رواية بوليسية المنشأ[2]، فإذا "كانت الحداثة العربية قد استطاعت في حقب زمنية متتالية من هذا العصر جلب أشكال كثيرة من الفنون والمعارف، واستعارة أصناف من المهارات وأساليب العيش ... فقد استعصى عليها استيراد شكل فني أدبي محدد، بقي متمردا على كل محاولة، إنه الرواية البوليسية"[3].

(1) عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية، بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 62.

(2) عمرو علي بركات: ألف ليلةوليلة، أول رواية بوليسية، 12- 06- 2012.

(3) عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية، المرجع السابق ، ص 95.

فمن الصعب أن نجد الكاتب عربيا لم يقرأ رواية **"الأغاثا كريستي"** وحين ظهرت رواية "العصر" لـ**"باتريك روسكيند"** وهي رواية "العطر" لـ**"باتريك روسكيند"** وهي رواية حياة قاتل بحسب التسمية الجانبية التي صاحبت عنوانها، فإنها حققت شهرة كبيرة بين قراء العربية في زمن قياسي.

ورغم الخلافات البينة بين كتاب الرواية الحديثة من المصريين، فقد جربوا أن يكتبوا رواية بوليسية مرة واحدة على الأقل هكذا فعل **"نجيب محفوظ"** في روايته "اللص والكلاب" على قصته قاتل حقيقية جرت أحداثها في مدينة الإسكندرية في أربعينيات القرن الماضي وقد تابعتها الصحف يوما بعد يوم، رغم الضلال الفلسفية لروايته "الطريق" فإن جريمة القتل كانت محرك أساسي لأحداثها ومن بين المعاصرين يمكن اعتبار رواية "شرف" للأديب **"صنع الله إبراهيم"** واحدة من الروايات التي استندت أساسا إلى جريمة قتل، كان التحقيق فيها مبررا للكشف عن كثير من سوءات المجتمع وتناقضاته، فضلا عن تقنير مقولات كبرى من نوع العلاقة مع الآخر الغربي كون القتيل كان أجنبيا، وكان **"نبيل فاروق"** واحد من أشهر كتاب الرواية البوليسية في الوطن العربي، رغم تخرجه من كلية الطب تفرغ تماما للرواية البوليسية ولم تخذله، فحقق عبر سلسلة "رجل للمستحيل" شهرة كبيرة تتجاوز بما لايقا سماكان يمكن أن يحققه كطبيب، وصار بطله **"أدهم صبري"** أشهر شخصية روائية في سلسلة صدر منها مئات الأعداد أولها سماه "الاختفاء الغامض" وحققت مبيعات بمئات الآلاف من النسخ في الوطن العربي، **"نبيل فاروق"** أبدع أيضا في مجال الخيال العلمي وأستفاد من دراسته للطب في تدعيم موهبته في هذا الاتجاه، يقول: "أستفيد بخطوط المنهج العلمي وتنظيمه، وعند كتابتي

للقصص أتعامل بنفس المنهجية في التفكير، أما شخصية رجل المستحيل فقد عشت معها أكثر من ربع قرن، ومما شجعني على الاستمرار فيها هو ما لقيته من تشجيع القراء في الوطن العربي كله"[1].

يقول أيضا: "للأسف النقاد تعاملوا ومازالوا مع الأدب البوليسي وأدب الجاسوسية باستخفاف، لكن القراء أقبلوا عليه وأبسطوا مقولات كثيرين ممن أسميتهم لتصورات المشهد الأدبي، الذي يسيطرون على المشهد إبداعا ونقدا ويفرضون ذوقهم على الناس ... وما لا يعلمه الناس هو أني استوحيت شخصية الرجل المستحيل من شخصية حقيقة لرجل امن متميز"[2].

5. الرواية البوليسية الجزائرية:

إن البحث في الرواية الجزائرية سواء كانت باللغة العربية أو بالفرنسية، يطرح إشكالية الأدب الثوري، تعتبر مسألة مركزية في تطور لأدب العربي المعاصر، كالنضال العربي الذي استطاع في النصف الثاني من القرن العشرين الذي يطرح من خلال ممارسته الإيديولوجية للمنطلقات لنشر عربي تقدمي باتجاه بناء نظرية للثورة العربية لمعاصرة، "هذا النضال أخذ يطرح في الوقت المناسب مسألة إيداع أدب عربي ثوري، يواكب تحرك الجماهير العربية باتجاه أهدافها الوطنية والقومية والنفسية، ويعزز صورتها في نضالها ضد التجليات التاريخية التي تواجهها هذه الأهداف"[3].

إن ارتباط الأديب الجزائري بالواقع الراهن لأمته، وتعلقه بالتراث العربي في محاولة لإعادة بحثه، والعمل على تجديده وتطويره، حال دون التفكير في جنس الرواية لبوليسية، والذي بقي خارج الهموم

(1) نبيل فاروق: الرواية البوليسية (اختفاء القراء وإهمال النقاد) ، المجلة العربية، الرياض، ع 473، مارس 2016، ص 15.
(2) نبيل فاروق: الرواية البوليسية (اختفاء القراء وإهمال النقاد" المجلة العربية، الرياض، ع 473، مارس 2016، ص 14.
(3) جلال فاروق الشريف: حول مسألة إشكالية الأدب العربي الثوري، الموقف الأدبي، العدد 2 + 1، ص 1، كانون الأول والثاني، دمشق، 1998، ص02.

الأدبية العربية، لاعتقاد بعض النقاد والباحثين – ولمدة طويلة – أنه أدب شعبي، لا يرقى إلى مصاف الآداب الجادة، والواقع أن هذه النظرة مستمدة أصلا من بعض سمات هذا الجنس، والمتميزة بطابع (التخطيطية الميكانيكية) (.....) الذي يخضع له شخصيات الرواية البوليسية. "ويتميز كاتب الرواية البوليسية من غيره من الكتاب في التكتيك الروائي المستخدم في بناء النص فهو يعرف مسبقا مصير أبطاله، وأدق حركاتهم، كما أن الغموض المفتعل في زحام الأحداث، ما هو في الواقع إلا مرحلة يعمل الكاتب على اختيارها بمجرد الكشف عن منفذ الجريمة"[1]. وتتحول الرواية بعدها إلى مجرد قصة عادية، وكتب أجزاؤها تركيبا عكسيا.

لا يتجه القصد في هذا المستوى من البحث إلى طرح سمات الرواية البوليسية، بقدر ما سيعمد إلى بحث وتقصي مظاهر الأدب البوليسي بالمواصفات الغربية في بعض الروايات الجزائرية، وهذا في ضوء ما أنجز في الفصول السابقة من هذا البحث.

إن قراءة بعض النصوص النقدية[*]، وهي قليلة جدا، غير ناضجة في أغلب الأحيان، تدفع إلى الاعتقاد أن الأمة العربية لا يمكنها أن تنتج اليوم أدبا بوليسيا بالمواصفات الغربية، لأن الوضع الراهن لا يسمح بذلك، ويؤكد هذه المقولة أحمد حمدي في حديثه (للثورة الإفريقية) حين يقول: "أعتقد أن الآداب الحقيقية لا يمكنها إلا أن تكون ملتزمة، أن تعكس أفكار المجتمع، وتكرس لخدمته، والرواية البوليسية–من هذه الوجهة–غير ملتزمة، لأن أحداثها تعبر عن مظاهر سطحية، يمكن العثور عليها في المجتمعات كلها (...) ولذلك لا يمكن وضعها في المستوى نفسه مع الروايات الأخرى، سواء الحديثة

(1) عبد القادر شرشار: مرجع سابق، ص 60.

(*) (الثورة الإفريقية) من مقالات حول الرواية البوليسية في الجزائر.

منها أو المعاصرة، ذلك أن الكاتب الحقيقي مبدع، ينبغي أن يوظف إنتاجه الفكري والأدبي في تطوير الإنسان، وانسجامه مع أفراد المجتمع. والرواية البوليسية لا تهدف إلا لإحداث المتعة الآنية، غير أن هذا لا يمنع من إنصافها: فهي تتميز على مستوى الشكل ببناء جيد، سهل، وتقنيات مضبوطة، يمكن استلهامها في مجال كتابة بعض القصص الهادفة"[1]. كما يؤكد في السياق نفسه "أنه لا يوجد في الوطن العربي كتّاب للرواية البوليسية، لماذا؟، لأن الأمة تواجه اليوم مشاكل جادة ومعقدة، تستوجب اهتمام الكتاب والتزامهم". ثم يعلق قائلا:" إنه لا يوجد سوى أعمال بوليسية مترجمة من الفرنسية أو الإنجليزية كروايات (**أجاتا كريستي**) وغيرها"[2]. إلا أن هذه العوامل لم تحل دون ظهور عدد من (ENAL) الروايات البوليسية في الجزائر، حيث أصدرت مؤسسة الكتاب في بداية السبعينيات من القرن (SNED) والشركة الوطنية للنشر والتوزيع العشرين مجموعة قصص وروايات باللغة الفرنسية ذات طابع بوليسي شعبي (Le Polar).

ويعود الفضل الأول في ظهور الرواية البوليسية ورواية التجسس إلى يوسف خضير بروايته (تحرير فدائية) (Délivrez la Fidaya) عام 1980، وقد ظهر له في ظرف سنتين ستة عناوين، ما بين عام 1980 و 1982[3].

1. **الانتقام يمر بغزة** La vengeance passe par Ghaza

2. **توقيف مخطط الإرهاب 1970** Halte au plan terreur

(1) عبد القادر شرشار: مرجع سابق، ص 160.
(2) المرجع نفسه: ص 160.
(3) عبد القادر شرشار: مرجع سابق، ص 161.

3. **الجلادون يموتون أيضا 1970** Les bourreaux meurent aussi

4. **منع طائرة فونتوم عن تل أبيب** Pas de phontom pour Tel Avive

5. النمور تتدخل Les Panthères attaquent

صدرت هذه الروايات عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع في ظل ما اصطلح عليه آنئذ "باغتيال الثقافة Malaise de la culture" في غياب كتابات جادة، وهذا بعد تخلي المختصين الذين فضلوا الصمت، أو اختاروا المنفى بعيدا عن الوطن، بحثا عن أمل مفقود، في حين كان الكتاب بالفرنسية يصفون حساباتهم مع ما أطلق عليه ب "ضمير التاريخ" « Conscience Historique »

من هذه الزاوية الضيقة يمكن دراسة الإسهامات المتواضعة للأدب الجزائري في تطوير الرواية البوليسية، بعيدا عن (البهرجة) والبريق اللذين عرفت بهما هذه الرواية، وما كانت تنضح به مضامينها من تدفق للخمر الممزوجة بدماء الضحايا، وما تحلت به صفحاتها من الإثارات الجنسية المكشوفة، الدالة على الخلاعة، وسقوط الأخلاق الغربية.

كما تضيف (**زهيرة عوفاني**) إلى هذا الرصيد في الثمانينيات مجموعة أخرى، لكنها تختلف في شكلها ومضمونها عن مجموعة يوسف خضير، فبينما تكتب عوفاني قصصا بوليسيا، يكتب يوسف خضير رواية تجسس، ويتمثل إنتاج عوفاني في عملين إبداعيين، هما:

- **صورة مفقود** (1985) Le portrait du disparu
- **قراصنة الصحراء** (1987) Les pirates du désert

تولت مؤسسة الكتاب (ENAL) نشر القصتين، مساهمة منها في تشجيع هذا النوع من الرواية[1].

(1) جلال فاروق الشريف: حول مسألة إشكالية الأدب العربي الثوري، الموقف الأدبي، العدد 2 + 1، ص 1، كانون الأول والثاني، دمشق، 1998، ص03.

الفصل الثاني:

المحكي البوليسي و دلالته في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص.

- ✓ تجليات المحكي البوليسي في الرواية.
- ✓ دلالات المحكي البوليسي في الرواية.

تمهيد:

يقدم" **عمارة لخوص**" في هذه الرواية إطلالة على عالم المهاجرين في روما، وذلك ضمن أحداث رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" التي قرأ منها بعض الصفحات لجمهور مهرجان الأدب في برلين، وكما صرَّح" **عمارة**" فإنه قد استخدم الاسم القديم الذي كان يطلق على إيطاليا القديمة وهو الذئبة ،وأطلقه على :روما: الحديثة مسرح أحداث الرواية، حيث دهاء هذه المدينة ومكرها ومراوغتها في التعامل مع المهاجرين بها، وذلك على غرار قوانين إيطاليا القديمة التي كانت تحمل عنوان "بريتور المدينة وبريتور الأجانب"، أي قوانين مرنة للسكان الأصليين وقوانين مجحفة متسلطة على رقاب المهاجرين القادمين إليها.

وعن عالم الرواية يقول **"عمارة"** : "الرواية تدور أحداثها بحي فيكتور الشهير في روما، و الذي يسكنه كثير من المهاجرين ،حيث يتعرض سكان إحدى عمارات الحي إلى مشاكل في المصعد، ومع اختلاف اقتراحات السكان والجيران لحل المشكلة تبرز تلك الاختلافات التي تشكل تنوعا ثقافيا"[1]، إلا أن هذا التنوع والاختلاف الثقافي الذي تجسده له كل شخصية من شخصيات الرواية في نظر عمارة لخوص "بدلا من أن يكون عاملا للتواصل والتفاهم، يصبح مصدرا للصدام الذي يولد كوميديا سوداء"[2].

(1)هاني غانم: مقال بعنوان ، الروائي الجزائري عمارة لخوص و تجربة التنقل بين الثقافات ، مراجعة طارق أزكاي ، from dw.com.

(2) المرجع نفسه.

ويكمل "**عمارة لخوص**" حديثه فيقول: "**عندما يقرر شخص ما الهجرة فإنه بذلك يكون قد وقع شهادة وفاة ثقافته الأصلية، ليولد من جديد في ثقافة جديدة، يعوض فيها ما فاته في حياته السابقة، يتعلم فيها لغة جديدة ونمط حياة آخر غير الذي كان عليه**"[1]، ويضيف الكاتب الجزائري في نفس السياق قائلا: "**إن حسابات الزمن لدى الإنسان في الحياة الجديدة تختلف عن سابقتها، حيث أنه يمكن للمهاجرين فيها أن يتعلم في عام واحد بمعدل ما كان يحصل عليه في تعليمه خلال عشرة أعوام قبل الهجرة**"[2].

ويكمل حديثه بأن الهوية الجديدة لا يمكن لها أن تكتمل إلا بالاعتماد على العلاقة مع الآخر، حيث يتحقق التواصل الذي يحدث منه التوازن في العلاقات عندما هاجر "**عمارة لخوص**" إلى إيطاليا كان لا يتحدث اللغة الإيطالية، إلا أنه من المبدأ الذي تحدث عنه بأنه هاجر إلى ثقافة جديدة، فهذا يعني أنه في ميلاد جديد وقد كتبت له حياة جديدة، وخاصة أنه خرج من وطنه الأصل الجزائر، وذلك حين كان يعيش هذا الوطن محنة التسعينيات. فكانت العزيمة وكان الإصرار على بداية جديدة أحد دوافع تعلم اللغة التي اعتبرها الكاتب لخوض الحامي الأول والوحيد في بداية أيام هجرته.

و يقول: "**كنت أحمل وثيقة إقامة، ولم أكن قد حصلت على الجنسية، ولولا إجادتي اللغة في هذه البدايات، لكنت واجهة صعوبات كثيرة من التي يوجهها المهاجرون، وتقوقعت**

(1) هاني غانم: الروائي الجزائري عمارة لخوص و تجربة التنقل بين الثقافات ، مراجعة طارق أزكاي.fromdw.com
(2) المرجع نفسه.

في حدود ضيقة وسجنت نفسيا، إلا أن اللغة كانت وسيلتي في التواصل، وقبل هذا وذاك كانت حصن يحميني، فكنت أطالب بحقوقي دون خوف أو تردد"[1].

كما أن اللغة تمثل لعمارة عنصرا مهما، حيث يقول عنها، أنه باللغة يمكن كسر حاجز الخوف، فالخوف لا يصنع إلا الخوف، وفي ختام حديثه ذكر مقولة فيكتور هو جو من الخوف القاتلة: "أنا لا أخاف إلا مِمَن يخافون"[2].

1. تجليات المحكي البوليسي في الرواية :

تحمل الرواية حكاية مجموعة من المهاجرين المهام أين التقوا في مدينة روما وبالتحديد في حي يدعى "**فيكتوريا**" بعدما جاؤوا من مناطق مختلفة في العالم الثالث حالمين بحياة جديدة في روما، وبعد فترة من حياة صعبة عانوا فيها كثيرا من الملحقات بسبب هجرتهم غير الشرعية وبعد الأحكام العنصرية التي كانت تصدر في حقهم تتطور أحداث الرواية بعد مقتل الشاب الإيطالي "**لوريزمو مان فريدي**" الملقب بـ**الغلادياتور** فالمصارع حيث توجه الاتهامات إلى شاب يدعى أميديو بسبب اختفاءه يوم الجريمة إلا أن أغلب السكان رفضوا فكرة أن يكون أميديو من ارتكب الجريمة.

ومن ثمة فحبكة الرواية حبكة بوليسية؛ حيث ارتكبت الجريمة وظل الجميع يتساءل عن القاتل ومن يكون هذا الشخص الذي وضع حدا لحياة شاب عنصري داخل مصعد العمارة، وفي العموم حاولت "**رواية لخوص**" طرح الواقع الذي تعيشه الجماعات المهاجرة من العالم الثالث في أوروبا مما

(1) هاني غانم : الروائي الجزائري عمارة لخوص و تجربة التنقل بين الثقافات ، مراجعة طارق أزكاي ، fromdw.com
(2) المرجع نفسه.

يعطي صبغة إنسانية لطرح هذه الرواية؛ ذلك أن شخصيات الرواية لا تنتمي إلى منطقة واحدة إلى الثقافة العربية فقط فمنهم من جاء من إيران والبيرو والبنغال باستثناء شخصية واحدة عربية.

لقد صنفت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ضمن الروايات العربية البوليسية ، وذلك لاحتوائها على عناصر فنية بوليسية تتمثل في :

أ. **الجريمة:** أصل كلمة جريمة من جرم بمعنى كسب وقطع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[1].

ومن هذا يتبين أن الجريمة في معناها اللغوي تنتهي إلى "أنها فعل الأمر الذي لا يستحسن، ويستهجن، لأن المجرم هو الذي يقع في أمر غير مستحسن ،مصرا عليه مستمرا فيه لا يحاول تركه بل لا يرضى بتركه"[2]، إذا فوقوع جريمة قتل هو أساس الرواية البوليسية تدور حولها باقي الأحداث في رواية بوليسية من عنصر جريمة فتقدم على شكل ألغاز يحاول أن يحلها المخبر السري[3].

يقول" **لخوص عمارة**" : "**الرواية تدور أحداثها بحي فيكتوريا الشهير في روما، والذي يسكنه كثير من المهاجرين، حيث يتعرض سكان إحدى عمارات الحي إلى مشاكل في المصعد**..."[4]، ففي الرواية تقع جريمة قتل في عمارة بحي إيطالي يعج بالمهاجرين. الضحية شاب

(1) سورة هود الآية: 89

(2) الإمام محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في النقد الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص19.

(3) ينظر: شعيب خليفي، مرجع سابق، ص139.

(4) الرواية، ص142.

إيطالي يلقب بين سكان العمارة بـ **"الغلادياتور"** أو المصارع، وكان الشاب معروفا بعنصريته إزاء المهاجرين، وكرهه لكل ما هو أجنبي، فهو من الذين يرفعون شعار "إيطاليا للإيطاليين"، وقعت الجريمة داخل مصعد العمارة التي يقطنها إيطاليون ومهاجرون من دول مختلفة من العالم (باكستان، البيرو، إيران).

ب. **التحقيق:**

يمكن أن يتخذ شكل المطاردة في بعض الروايات البوليسية التي يلعب فيها المحقق دور (حامي الحقوق) وتتميز الأحداث حين ذاك بالعنف، وتكثر في الرواية الجرائم قبل الوصول إلى المجرم الحقيقي، ويتميز المحقق في هذا النوع من النصوص البوليسية بالخبرة في مواجهة العصاة والمجرمين بحيث يعرض نفسه ومن معه لأخطار كبيرة، كثيرا ما يذهب ضحيتها أقرب مساعديه، وهنا تغيب الخطة المنطقية المسبقة للأحداث، ويبقى المحقق معرضا للمستجدات وعليه أن يجد الحلول بالوسائل المختلفة.

أما في رواية "كيف ترضع من الذئبة" اتخذ التحقيق مسلكا آخر عن طريق مجهولية المحقق واتخذ تحقيقه منهجا مغايرا يتمثل في شكل عواءات تسرد حياة كل قاطن بالعمارة، يقول الكاتب: **"بالنسبة للتحقيق انتهى والقاتل هو أحمد سالمي المدعو أميدو. اختفاءه المفاجئ يثبت ضلوعه في مقتل الشاب لوراترو مانفريدي المدعو الغلادياتور. من عادة المجرم الفرار، الواقع يختلف كثيرا عن الأفلام، المفتش كولومبو هو الوحيد الذي يكابد مشقة البحث وإلقاء القبض على المجرمين لأنهم ببساطة يسلمون أنفسهم دون أدنى مقاومة، لسوء الحظ أنا لست**

المفتش كولومبو، أنا مطالب بتعقب المجرمين ورميهم وراء القضبان"[1]، تعددت الروايات في هذا التحقيق من إيران، باكستان، إيطاليا... واختلفت سير حياة هذه الشخصيات التي جمعها سقف العمارة واختلفت وجهات النظر وفق مصعد هذه العمارة تحت ستار تقدم وتخلف... وفي ساحة فيكتوريا.

لقد كان التحقيق في رواية "**عمارة لخوص** " في شكل سرد متتالي لحياة كل من المهاجرين ، في شكل عواءات ، و الذي وضح لنا هذا التحقيق ، دوافع اجتماع هذه الجنسيات المختلفة تحت سقف عمارة فيكتوريا ،...كما نلاحظ غياب عنصر البوليس في عملية التحقيق ، بالإضافة إلى مجهولية المحقق في رحلة البحث عن قاتل " **الغلادياتور**" ، و هذا ما يدفعنا إلى القول أن رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" هي ليست رواية بوليسية تقليدية بامتياز ، بل كانت عبارة عن وسيلة فنية لمناقشة قضايا أكبر..

(1) الرواية، ص143.

2. دلالات المحكي البوليسي:

جاءت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"من أجل طرح قاضايا كثيرة ، أهما قضية:

الهوية :بوصفها ظاهرة إنسانية وجدت منذ وجود الإنسان على أوجه بسيطة ، كما أنها ظاهرة عامة تمس جميع الأشخاص و التي بدورها أدت إلى بيان قدرة الروائي على الارتقاء بنمط الكتابة الروائية ، لتسليط الضوء على الهشاشة الحاصلة على مستوى الهوية الجماعية ، حيث مثلت هذه الاخيرة جوهر الموضوع و بؤرة الصراع الداخلي للرواية .

و رواية عمارة لخوص "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ليست أول رواية عربية طرحت إشكالية الهوية ، بل سبقتها في طرح هذه القضية اعمال روائية أخرى نذكر منها:

رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم: يتألف العنوان من عنصرين أساسيين وكلمتين عصفور ثم الشرق والمعروف أن العصفور يرمز إلى الجمال والغناء ومشابه مثل: "الحرية، الخفة، البراءة... إلخ، وباختصار إلى كل ما هو جميل، أما الشرق فهي كلمة تحدد انتماء هذا العصفور المكاني ومن ثم الحضاري، فهو عصفور شرقي يحمل في أجنحته وفي صورته روح الشرق..." [1]، فإن زمن اللقاء الفعلي بين محسن بطل الرواية وسوزي التي تمثل الطرف المقابل فيها ودام أسبوعين، وأن الرواية تبدأ قبل هذا اللقاء الفعلي بمدة وبحضور محسن كل يوم إلى المقهى المقابل إلى المسرح الذي تشتغل فيه سوزي ليراقبها من بعيد وأن الحدث سيتواصل بعد الفراق بينهما مدة أخرى يقضيها محسن في شبه

(1) ينظر: مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية مذكرة درجة الدكتوراه إشراف عبد الله الركيبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2006، ص170.

انزواء مع الذات بحوار إيفيان صديقه الروسي المريض، حدث الرواية استغرق شهرين أو ثلاثة أشهر[1].

يتناول المقطع الأول حياة البطل في باريس فعدد الأماكن المذكورة محدودة فبطل الرواية ليس مولعا بالسياحة ومعظم هذه الأماكن المحدودة هي معالم معروفة في باريس وضواحيها مثل: حديقة لوكسبورغ، شارع سان ميشال، مونبر ناس، ملتقى أهل الفن فترددت أسماء المسارح والمواقع الثقافية وأول ما نلتقي به من بين جميع الأماكن والمعالم المذكورة للكاتب المسرحي الكبير "**توفيق الحكيم**" وهي المؤسسة التي تشتغل فيها سوزي وتتمثل في المسرح، كما نجد بعض الأماكن كفندق زهرة الاكاسيا الذي يسكنه بطل للرواية وكقهوة الروم وكقهوة الريجونس اللتين كان يتردد عليهما وطعم بورتاريدي[2] ومن ثمة نلاحظ تنقل البطل في ثلاث محطات، المحطة الأولى تمثل مرحلة الاستقرار والحياة العادية، وهي مرحلة سكنه في منزل العجوز الريفي فالثانية تمثل قلق الحب والعلاقة مع المرأة وهي التي استقر من خلالها في فندق زهرة الاكاسيا جوار حبيبته سوزي التي تسكن النزل نفسه فتمثل المرحلة الأخيرة مرحلة التفكير العقلي وهو مناقشة موضوع الشرق والغرب[3]. وهي التي لقي فيها محسن السكن المتواضع بجوار صديقه السوري بطل الرواية هو محسن طالب الحقوق في إحدى جامعات باريس فلا تقدم لنا الرواية أي معلومات عن علاقته بالجامعة، فنجد في الرواية بعض المقاطع التي تتناول تفاصيل من حياته في باريس وليس كل حياته فنجده مندمج في الجو الباريسي يعيش مع

(1) مرجع نفسه، ص171.

(2) مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، ص172.

(3) المرجع نفسه، ص172.

أفراد أسرة فرنسية في إحدى الضواحي يجلس معهم ويناقشهم ويمزح معهم وكأنه واحد منهم، فأحداث الرواية بدأت بتواجد محسن في باريس وتنتهي وهو ما يزال مقيما فيها"[1].

والطريقة التي تناولها الكاتب في وصف بطله فيها روح مادحة ابتداء من وصفه: "هذا الآدمي فتى يحلل الجسم أسود الثياب على رأسه قبعة سوداء عريضة الإطار في ..... فجوة غائرة كطبق الحساء قد امتلأت بماء المطر"[2].

كما يضفي على الرواية أجواء المقامة العربية القديمة وروحها الفاكاهية قد استهلكهما عمل المصنع وأبو اندريه العامل السابق يقرأ جريدة تومانينية فمن خلال العلاقة اللغوية بين كل ما هو ثقافي وخاصة منه الموسيقي في نماذجها وسهراتها الراقية والمسرح والمتحف والتردد على الأماكن والمعالم التاريخية السياحية المعروفة مع هذا كله فإن محسن بطل متميز أولا شرقيته وثانيا بطبيعته الخاصة المتميزة بدورها، فيقول عن الرجل العجوز: "إنه شاب لا يميل إلى اللهو كسائر الشبان، وتؤكد زوجته كذلك حقيقة أنه لا يحب سوى المطالعة والتأمل والموسيقى"[3].

وكثيرا ما وصف من قبل "**أندريه**" أو غيره أنه عصفور شرقي أو عصفور قادم من الشرق...، أما هو فيشعر بحب وتقدير لأولئك الذين لا تطلب لهم السكن إلا داخل أنفسهم، ذلك أن قليلا من الناس من يمتلك نفسا رحبة غنية يستطيع أن يعيش فيها وأن يستغنى بها عن العالم الخارجي[4].

(1) مصطفى فاسي: في الرواية العربية، ص172.

(2) نقلا عن توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1985، ص5.

(3) نقلا عن توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار الشباب اللبناني، بيروت، ط3، 1985، ص31.

(4) مصطفى فاسي: البطل المغترب في الرواية العربية، ص127.

ب. **سهيل إدريس الحي اللاتيني:**

مع الحي اللاتيني فقط ومحيطه القريب تبدأ التفاصيل ولا نعني بالتفاصيل الوصف أو الاستعراض فيه، وهو الأمر الذي لا يميل إليه سهيل إدريس وذكر تعدد الأماكن المعروفة بأسمائها هي الأماكن التي جعلها فضاء لمجريات أحداث الرواية التي من بينها: ريدي زيكول، فندق كلود برنار، مقهى ديبون بولقارسان، جرمان سينما البانيتون، جامعة السوربون نوتردام، مقهى لاكوبولاد... [1].

فمن الواضح أن ذكر الأماكن يدل على معايشة الكاتب لجو المكان ثم يعبر صراحة عن الشرق إلى الحرية، فقصارى ما يشعر به هو أنه يود أن يتنفس هواء جديدا وحلمه الكبير "هي الحي اللاتيني بالذات، ولكن هذا الحلم ليس حلم الدراسة أو العلم أو الاطلاع أو حي السياحة في عالم باريسي الغني بكل شيء، ولكنه حلم التحرر الكامل في مجال الحب والجنس عالم العلاقة بالمرأة ورمز ذلك مقهى ديبون وهو أول مقهى يدخله بطل الحي اللاتيني مع صديقه عدنان وصبحي وهو ملتقى المتحررين أبعد حدود التحرر من فتيان الحي اللاتيني وفتياته"[2].

وفي المقهى شبان يوحي مظهرهما بكل شيء إلا بالوقار وفتيات تلمح عيونهن ببريق الذكاء والخفة والطيش ويخيل للناظر أن هن يعشن ليعطين ما يطلب منهن[3].

(1) مصطفى فاسي: البطل المغترب في الرواية العربية، ص174.

(2) المرجع نفسه، ص128.

(3) نقلا عن سهيل إدريس: الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، ط7، 1977، ص16.

ج. موسم الهجرة إلى الشمال:

إن الشخصيات المغتربة في هذه الرواية كان مصيرها الإخفاق والخيبة، عاد "**سعيد**" بالخيبة بعد سجنه بتهمة قتل الحلاق الذي كان على علاقة بزوجته "**مريم**" وعادت "**مريم**" بعد الفضيحة.

وبعد أن خسرت كل شيء المتعة والحرية في بلاد المهجر والشرق، وعاد "**علي**" مع زوجته زينب بعد أن خسر يده، وسافر "**عباس**" مرغما بعد اتهامه بإيواء المهاجرين، فالراوي "**عامر**" وحده الذي يعود بمحض إرادته ليجد الخيبة تنتظره في بلاده عندما يرفض توظيفه في وظيفة مناسبة التي عاد بها ويكتفي بالعمل ثلاث مئة وخمسة وعشرين عاما في "بلد شقيق يقبل الرجال دون النساء فيترك كل شيء"[1]، ويلتحق مجددا بالمهجر ليتزوج المرأة التي اختارها وارتاح لها "**تريزا برونو**": "بعت تمري وزينتي في سوق المقايضة وتزوجت "**تريزا برونو**" لأحصل على بطاقة الإقامة لم يسألني أهل خليلتي عن هويتي ولم يسألوني عن ديني أنا أيضا ما سألت بعد ذلك عن أهلي ولا عن بلدي لفتني دوامة الحياة وطوحت بي مسارب الضجيج الأضواء[2].

فالخيبة تصيب الجميع بسبب الاصطدام القوي بمجتمع الآخر "المهجر"، ووصلت درجة الاصطدام حد القتل وهذا دليل على وجود أزمة قوية ظلت تفعل فعلها بين مجتمع المستعمر ومجتمع المستعمر[3]، وبالرغم من مرور سنوات كثيرة على استقلال البلد المستعمر كما يقول "**ادوارد سعيد**": "ليس ثمة من شك أن إحدى الخصائص الأشد بؤسا لهذا العصر هي أنه أنتج عددا من اللاجئين

(1) ينظر: مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، ص102.

(2) نقلا عن طيب الصالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، بيروت، ط2، 1965، ص105.

(3) ينظر: حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية الإنسان بين الحلم والواقع، ص50.

والمهاجرين والمشردين والمنفيين من أي وقت آخر في التاريخ معظمهم ملازما لنزاعات ما بعد استعمارية وامبريالية كبيرة وعارضة لها، وأن في ذلك ما فيه من مفارقة اللاذعة، فإذا ولد الصراع من أجل استقلال دول جديدة فإنه ولد أيضا مشردين ورحلا وجوابي آفاق لا ديار لهم"[1].

تمثل رواية موسم الهجرة إلى الشمال التمرد الفردي في محاولة يائسة للتغلب على حالة الاغتراب والنفي، فهي تدل على العودة إلى الماضي فاستوعب عقل مصطفى سعيد حضارة الغرب لكنها حطمت قلبه فظن أنه يمكن التغلب على غربته بالعودة إلى نفي العشيرة وروحانية الشرق فقد صدم بعد العودة بالواقع التقليدي وربما يختار مصطفى كما يختار الراوي بين قسوة النفي في الخارج وعذاب النفي في الداخل.

نجد في رواية" **عمارة لخوص**" "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" تجلي موضوع الهوية في محطات عديدة منها "العنوان" :

"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ،ورد هذا العنوان بصيغته الأصلية في شكل سؤال استفهامي يبدو لأول وهلة كأننا نقف أمام سؤال موجه إلى قارئ افتراضي قد يكون أي قارئ للرواية ،لكننا نرجح أن الغرض من هذا الاستفسار ليس طرح سؤال مباشر عن موضوع غامض أو مستعص يتطلب إجابة إما من الراوي أو من القارئ الافتراضي أو الحقيقي، بل هو لا يعدو أن يكون أشبه بنصيحة وجهها لكل المهاجرين الذين يعيشون في المهجر أو المنفى، وكأن الروائي قد تكهن مسبقا بالسؤال الذي يمكن أن يطرحه أي شخص عاش تجربة الهجرة أو المنفى .

(1) إدوارد سعيد: الثقافة الإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، د. ط، 2004، ص338.

يثير هذا العنوان كافة الأسئلة :كيف يمكن أن يرضع المرء من ذئبة دون أن تعضه ؟ وما الذي قد يدفعه لحماها؟ يعيد "**عمارة لخوص**" كتابة روايته باللغة الإيطالية ، فيحول العنوان الملغم إلى آخر مسالم، يبعث بالإيحاءات: "صدام الحضارات حول مصعد في ساحة فيكتوريا " هكذا يوحي إلينا ببعض ما في حقيبته.

يستثمر "**عمارة لخوص**" في الأسطورة ليربط به بين واقع المهاجرين بالتاريخ الأسطوري لنشأة روما العاصمة القديمة لأوروبا، وفي الرواية ما يمكن أن يشكل توضيحا وتفسيرا لعناصر العنوان، وتحديدا للحضور الرمزي للذئبة: "صرت أعرف روما كأني ولدت فيها ولم أغادرها أبدا، من حقي أن أتساءل: هل أنا لقيط مثل التوأمين روموالو وريموام ابن فالتيني؟. السؤال الجوهري هو كيف أرضع من الذئبة دون أن تعضني؟ الآن على الأقل يجب أن أتقن العواء كذئب أصيل"[1].

نفهم منذ البداية أي من خلال هذا العنوان، أن الرواية تضع القارئ في مواجهة أسئلة حقيقية تمس جوهر المفارقة التي يعيشها المهاجرون في أوطانهم الجديدة، ونرى خلف الكثافة التي يخلقها رمز "الذئبة" ما يوحي إلى الانتماء أو الرغبة في الحلول في ثقافة جديدة مع الوعي بالمخاطر المحدقة من الأذى الذي يمكن أن يخلفه هذا الانتماء على المهاجر.

نتحدث هنا عن "الذئبة" باعتبارها "رمزا"، والرمز في المعاجم الأدبية يعني علامة لغوية تحمل كثافة دلالية، بحيث لا تعني إلا المعنى الخفي الآخر المتوارى بعيدا عن الأنظار، من هنا ستتحول الذئبة إلى دال لمدلول آخر لا علاقة له بدلالة الحيوان، بل بدلالة الأسطورة التي تحكي عن بداية نشأة

(1) الرواية، ص115.

حضارة بذاتها. نحن أمام أسطورة النشأة، أي أمام حكاية البدايات، والعنوان بهذا المعنى يورط القارئ في رحلة البحث عن البداية، بداية الحكاية أو عن الحكاية الأصل، حيث الرواية تمثل امتدادا ممكنا أو مفترضا لها. يقول الكاتب: "**أنا لست في فم الذئب كما كان يقول كاتب ياسين. لقد خرجت من فم الذئبة وارتميت في أحضانها حتى ارتويت من حليبها...**"[1].

رمزية الذئبة:

لما نبحث عن مفهوم الذئب نجد أنه "جنس حيوانات من فصيلة الكلبيات ورتبة اللواحم، أنواعه وسلالته عديدة جميعها من الحيوانات الضاربة المفترسة يعيش على الجيف وعلى لحوم الحيوانات التي يتمكن من افتراسها ، لا يقرب الأسنان إلا عند الجوع."[2]

وعندما نتصفح كتب التاريخ نجد أن للذئبة حضورا قويا في نشوء دولة روما، إذ ترجعها الميثولوجيا الرومانية إلى أخوين توأمين أرضعتهما أنثى الذئب ، بحيث يعتبران المؤسسين الرسميين لروما، وذلك بعدما تم التخلي عنهما في صغرهما وآثرا لدى الكبر أن يحملا على عاتقهما تأسيس مدينة روما. وهذه الأسطورة قد تم استدعائها في رواية عمارة لخوص بصورة رمزية، ونجد ذلك في قوله: "صرت أعرف روما كأني ولدت فيها ولم أغادرها أبدا من أبدا من حقي أن أتساءل هل أنا لقيط مثل

(1) الرواية، ص149.

(2) موسوعة المصطلحات العلمية (الموسوعة في علوم الطبيعة) تقديم فؤاد افرام البستاني ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، المجلد 2،ص545

التوأمين روموولو وريمو أم ابن بالتبني . السؤال الجوهري هو كيف أرضع من الذئبة دون تعضني الآن على الأقل يجب أن اتقي العواء كذئب أصيل"[1]

فالذئبة هنا، وظفت بمدلول مغاير لمدلوها الحقيقي لا علاقة له بدلالة الحيوان ،بل بدلالة الأسطورة التي تحكي عن بداية نشأة حضارة بذاتها أي مقام حكاية البدايات يتحول بذلك العنوان إلى نقطة استدراج تورط القارئ في رحلة البحث عن بداية الحكاية أو عن الحكاية الأصل حيث الرواية تمثل امتداد ممكن أو مفترضا لها.فقد ولد التوأمان "روموولوس" و "ريموس" في المدينة الإطالية القديمة "ألبالونجا" حيث كان حاكمها هو الملك نوميتور إلى أن جاء أخوه الأصغر أموليوس و قتل أبناء نوميتور و أرغم ابنته ريا سيلفيا على أن تصبح كاهنة عذراء في معبد الإله فاستا ،وكان مفروضا على الكاهنة العذراء أن تظل عذراء حتى لا يخرج من صلبها أطفال يشكلون خطرا على عرش الملك الطاغية إلى أن الاله مارس أغوى الفتاة، فأنجبت منه توأمين فأمر الملك بإعدام والدتهما ثم وضع الرضيعين في سلة وقذفها في النهر إلى أن يلقي بهما على الشاطئ وتجدهما الذئبة فتتولى رعايتهما.

ومنه نستخلص أن أصل روما هو هذان اللقيطان اللذان ربتهما ذئبة برية وأوضعتهما حتى استقام عودهما وعادا إلى حياة البشر .وسنجد أن أغلب شخصيات الرواية من المهاجرين .أن يعيش الإنسان مهاجرا يعني أن يقترب قدر المستطاع من الذئبة ليبحث لنفسه عن ثدي يلتقمه ليرضع منه دون أن يثير غيرة أبناء الذئبة. "سنتحدث عن الجدارة ،عن القدرة في التكيف والاندماج عن

(1) لخوص عمارة : رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف،ط2006،2،ص115.

التفاوض بتعبير" هومي بابا" الذي لا يثير انتباه أهل البلد من الإطاليين وهل المهمة بكل هذه السهولة." [1]

تكمن مفارقة العنوان في أنه سيوحي للقارئ بموضوع الرواية الذي سيدور حول السيرة الأسطورية لنشأة روما، في حين أنها تتعرض إلى روما كمكان لميلاد تجارب مختلفة و مصائر مقاطعة لمجموعة من البشر الذي دفعتهم الأقدار القاصية إلى أن يتركوا أوطانهم بحثا عن الكرامة المتبقية من وجودهم." وأصلا في حياة أفضل ،روما التي أنشأها ابن الاله مارس تتحول إلى فروس مفقود، يجد فيه المهاجر كل أشكال المفارقة الوجودية ،ولذا سنجد أننا نقتفي آثار شخصيات تبحث عن الوهم أكثر مما تبحث عن مكان تستقر فيه"[2].

رمزية الرضاعة:

"الرضاعة تعني إرضاع الطفل رضاعة اصطناعية مرحلة إرضاع الطفل في أثناء الرضاعة"[3].كما تحمل معنى الاتصال والاندماج وهذا المعنى موجود في الرواية "فالرضاعة ليست أكثر من محاولة للإندماج الحذر في الوصف الجديد هو بحث عن انتساب جديد أي عن امتداد آخر للوجود غير الجذر الأول الذي خرج منه فكرة الاستنبات تطرح نفسها بشدة بمجرد الإحالة إلى عملية الرضاعة هو اكتساب الاعتراف بأبوية جديدة أي بانتماء جديد. [4]"

(1) بوطاجين السعيد : المحكي الروائي العربي،164،163.

(2)بوطاجين السعيد : المحكي الروائي العربي ،ص164

(3) المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،دار المشرق،بيروت،ط2، 2001، ص 561.

(4) بوطاجين السعيد ، المحكي الروائي العربي ، ص 165

رمزية العض:

نجد في القاموس "ج عضات جرح يسببه العض بالإسنان (عضة كلب)[1] إذا فالعض هو الألم ونوع من ردود الفعل العنيفة التي يقوم بها الإنسان أو الحيوان خاصة في حالات اقتحام غير شرعي لفضاءيهما الرمزي أو القيمي. "يجب أن نتصور حالة الذئبة وهي ترضع صغارها فإذا بطرف دخيل يدلف منها الأكيد أن ردتها ستكون من العنف ما يكون أن يخلق الأذى الحقيقي بهذا الدخيل." [2] يمكننا في الأخير أن نستنتج أن العنوان يعكس عمق الرواية و يحيط بمجال أسئلتها التي طرحتها سواء على لسان الشخصيات: "عن سؤال الهوية، سؤال الآخر احتمالات الاندماج والتعايش السلمي محاولة فهم لماذا الأجنبي في المنظور الأوروبي شخص خطير لابد أن يطرد. [3]"

(1) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق ، ص 561.

(2) المرجع نفسه ،ص987.

(3) بوطاجين السعيد : المحكي الروائي العربي،ص165.

تجليات الهوية في الرواية:

تمثل رواية عمارة لخوص "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"[1] رواية نموذجية لمقاربة صورة الهوية وتحولاتها ، فقد قدم الروائي الجزائري سؤال الهوية الثقافية في مواجهتها للآخر في نص سردي متميز. وأهم سؤال تضمنه النص هو سؤال الهوية، فلم يعالجه الروائي من خلال تيمة شرق/غرب، والتي سبقه إليها عدد من الروائيين المعاصرين وغير المعاصرين: الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال) وإدريس سهيل (الحي الاتيني) ...بل تناول السؤال من خلال ثنائية أخرى أصبحت أكثر إلحاحا في واقع العولمة الذي أنتج خطاباته الخاصة ، هذه الثنائية هي: شمال/ جنوب، فاتسعت بذلك فضاءات السؤال وامتدت شواطئ الطرح.

جاء العنوان في صيغة سؤال انكاري. يعلن عن علاقة عاطفية مستحيلة بين طرفين، يمثل الطرف الأول الذئب/المؤنث(الذئبة) بكل ما تستدعيه كلمة ذئب من دلالات الذكاء / الدهاء والافتراس والعدوانية والإنقضاض والغدر...كما تشير حالة الذئبة المرضعة بترفها من ناحية وبخطرها من ناحية أخرى، إذ المعروف عن الحيوان المفترس أنه يشتد عدوانية في حالة الأمومة.

أما الطرف الآخر فمجهول يمثل ضمير المخاطب (انت) ويشير الفعل الثلاثي المجرد الذي أسند له في المضارع (ترضع) بهشاشته فالرضاعة دالة على ضعف الكائن /الرضيع، وعدم اكتمال نموه وقد يوحي التجاء هذا الرضيع إلى ضرع الذئبة بيتمه أو ضياعه أو ب"يقظانية" جديدة (حي بن يقظان)، ومن ثم فنحن أمام طرفي علاقة عجيبة:

(1)عمارة لخوص : كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، منشورات الإختلاف ، الجزائر 2000

– ذئبة مرضعة شرسة

– رضيع مجهول ضعيف تائه...

"يوحي لنا هذا العنوان في ضوء النص الروائي أن الذئبة ليست سوى روما التي يرمز إليها بتمثال الذئبة"[1]

أما ضمير أنت/الرضيع فهو المهاجر المنحدر من بلدان العالم الثالث دون تفرقة اثنية.

إن الإلتفات إلى ظهر الغلاف و قراءة تعريف الكاتب يشير بارتباطه بهاجس الهوية فنقرأ الأسطر التالية:

"عمارة لخوص روائي و باحث جزائري مقيم بإيطاليا صدر له" البق و القرصان " رواية باللغتين العربية والإيطالية. ناقش رسالة الماجستير حول إشكالية الهوية عند المهاجرين المسلمين" تدفعنا هذه العتبة النصية إلى السؤال:

لماذا كتب عمارة لخوص هذه الرواية؟

هل كانت أطروحة إبداعية موازية تردد ما توصل إليه عمارة لخوص الباحث في بحثه العلمي؟

أي صورة لهذه الهويات الجنوبية في فضاءات الشمال ؟

هل ستكون الرواية ورقة إدانة لهشاشة العلاقة بين الأنا و الآخر؟

(1) يرمز إلى مدينة روما بالذئبة الضارية التي تبنت ريمو و رومولوس.

هل ستكون بيانا لثقافة التسامح كما تشير بذلك العتبة النصية الثالثة : الإهداء الذي خص به المؤلف صديقه الايطالي "**روبرتو دي أنجليس**"[1]؟ أم هي نص متلبس كما الحقيقة في العتبة النصية الرابعة : "التصديرات التي جاءت على ألسنة ثلاث هويات : واحدة عربية مشرقية يمثلها أمل دنقل وأخرى غربية ذات أصول عربية يمثلها "**ليوناردو شاشا**" (1921-1989) وثالثة عربية جزائرية يمثلها الفقيد الطاهر جاووت ؟!"[2]

تحط رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"؟ بالقارئ في قلب العاصمة الإيطالية روما وتدعوه إلى الإقامة في عمارة السنيور كرنفالي مع حشد من الأجناس المختلفة توزعت على جملة من المهاجرين المنحدرين من جنسيات شتى (ايران، بنغلادش، الجزائر، ألمانيا، البيرو..)

السؤال الأول الذي يتملك القارئ ساعة التعرف على سكان العمارة . كيف ستتعايش هذه الهويات المختلفة بعيدة عن أوطانها ؟ وإذا سلمنا بما ذهب إليه يتين بيليبر من أن "الهوية لا يمكن أن تكتسب سلميا : إنما تطرح كضمان في مواجهة خطر الإبادة أو الإلغاء من قبل هوية أخرى "[3]لنا أن نتساءل عندها كيف سيكون حال هذه الهويات في مواجهتها للآخر صاحب الأرض؟ وكيف ستتعايش معه في فضاء ضيق (عمارة) دون أن تصطدم به؟

لا يمكن إثارة سؤال الهوية إلا داخل قيم الاختلاف والتعارض، ذلك أن طرح السؤال من أنا؟ يفترض ضمنيا سؤال آخر هو: من هو الآخر الذي ليس أنا؟ هذا الاقتران العضوي بين سؤالين كان

(1) "إلى صديقي العزيز روبرتو دي أنجليس فائق المحبة و التقدير و الإمتنان "

(2) فريد أنطونيوس : بحوث في الرواية الجديدة ، منشورات عويدات ، ط2 لبنان1982 ص58

(3) يتين بيليبر : الثقافة و الهوية (مدونة عمل) ، ترجمة عبد الله الكندي ، مجلة نزوى العدد 28 أكتوبر 2001 .

في أغلب الوقت سبب في إثارة التعصبات على أساس نبذ الاختلاف ذاته نجد هذا واضحا في رواية لغوص، فما يعانيه المهاجرون في الرواية هو رفض الايطاليين لهم بسبب أنهم مختلفون عنهم في كل شيء، فكان الاختلاف سببا في خلق منطق صراعي في الرواية جعل الشخصيات إما في موقع المتهجم أو في موقع المدافع والمستسلم لقدرها، غير أن شخصية أميديو اكتشفت حجم الخسائر النفسية التي يتكبدها سبب كلمة واحدة وهي الهوية.

يقول الكاتب: من هو أميديو الحقيقي؟ يا له من سؤال غريب لا يوجد أميديو حقيقي وأميديو مزيف، هناك أميديو واحد فقط..."[1].

لا يهم أميديو من يكون أو من يكون الآخر بل كان يفكر في أن أكبر شفاء لمرض الهوية هو تجاوزها تماما، وهل هذا ممكن؟ كان يبحث عن معنى أعمق وأشمل للهوية ليتجاوز القيم الضيقة التي تحصر وجود الإنسان في تنمية من المعايير التي تصوغه السابقة بوجوده هي التي ستحدد مواقفه في المستقبل، إن الدلالة الحقيقية للهوية هي التي تنفتح على القيم الإنسانية كلها والتي تمهد الأرضية للحوار والتفاهم والتعايش والاعتراف بدل أن تتحول الهوية إلى أرض لمعارك دموية عبر يومياته، كان أميديو يحاول إزاحة الهوية من مركز القضايا التي شغلت وتشغل الإنسان المعاصر في خطاب الشخصيات الإيطالية مسكون بقيم الهوية وهي لا تتوانى عن ترديد شعارها إيطاليا للايطاليين، ويقول الكاتب: عندما أرى السيناتور أميديو مع صديقي الإيراني في باردييني أو ألتقي بهما صدفة في ساحة

(1) الرواية، ص129.

فيتوريو فأشعر بالغبطة والارتياح أقول في نفسي ما أجمل أن ترى المسيحي والمسلم كأخوين لا فرق بين عيسى ومحمد، ولا فرق بين المسيحية والإسلام، ولا فرق بين الإنجيل والقرآن"[1]؟

تكمن المشكلة إذن هنا بالذات حيث إيطاليا لا تقبل إلا بالايطاليين أي بالأشخاص الذي تتوفر لديهم مجموعة من المعايير التي تميزهم عن بقية الأشخاص الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات أخرى ينتهي أميديو إلى أنه لا توجد كلمة أتفه من كلمة هوية ولا سؤال تافه مثل سؤال من أنا ومن الآخر لأن جوهر هذه الأسئلة كما فهمها تحد من حرية الأفراد وتجعلهم لصيقي أصل واحد ومصير محدد تفرضه سلطة الانتماء وهي سلطة لا تورث إلا العماء في معناه الوجودي والثقافي، كان الإيطاليون في الرواية لا يبصرون إلا الإيطاليين كما أن الكلمة مخادعة تخلق وهما قد يصدقه الكثيرون حول الشخصية والدليل أن سكان العمارة كانوا يعتبرونه إيطاليا من أبناء إيطاليا لما وجدوا فيه من مواصفات تتطابق مع صفات الإيطالي غير أن الحقيقة غير هذه لأن أميديو جزائري الأصل هاجر إلى ايطاليا لأسباب أمنية واستطاع أن يندمج في المجتمع الايطالي دون أن يثير انتباه أحد كونه شخصا دخيلا إذن الهوية تخلق العداء كما تخلق الوهم ولهذين السببين كان حلم أميديو تجاوزهما تماما.

إن مطلب تجاوز سؤال الهوية هو المطالبة باسترجاع حرية الإنسان وكما قلنا سابقا لا يمكن الجمع بين الهوية والحرية "ما أجمل أن تتحرر من قيود الهوية التي تقودنا إلى الهاوية من أنا من هو من أنت من انتم يا لها من أسئلة تافهة"[2]، ثمة نبرة تعكس حالة من التمني أو الحلم في أن يتحرر الإنسان من قيود الهوية والجميل في هذا النفي هذا التقابل بين الهوية والهاوية فليس هناك إلا فرق

(1) المرجع نفسه ، ص50.

(2) الرواية، ص126

طفيف بين الكلمتين كما لو أن الهوية حين تتحول إلى قيد يحد من حرية الإنسان تقضي به إلى الهاوية أي إلى الهلاك وهو ما يبرز جليا في تحول خطاب الهوية إلى أداة لتجيش المشاعر القومية وإنكار نار التعصب والعداء للآخرين ومن هو من الأسلحة الناقصة التي استطاعت أن تغير جغرافيات بأكملها ويبدد ملايين من البشر وتخلق بورا نائمة لصراعات مستقبلية.

3. العلاقة بين الشرق والغرب "الصراع":

تعتبر ثنائية الشرق والغرب من أهم الثنائيات التي بين الأنا والآخر ومن يعيش من صراعات دامية ومواجهات عديدة منذ الأزل، تبنى العلاقة بينهما أساسا على الصراع والصدام فهذا يعود إلى زمن بعيد تشهده البشرية من وقت لآخر[1]، منطقي أن ترتبط هذه الكناية على نحو وثيق بهذا المفهوم علينا أن نطرح ضمن سياقها الإيديولوجي والتاريخي فالشرق شرق والغرب غرب لن يلتقيا[2]، معناه أن كليما يعيش بمعتقداته وعاداته وتقاليده فلا الشرق مثل الغرب ولا الغرب مع الشرق، الغرب على ما اصطلح الأوروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب يعنون بالغرب أنفسهم ويعنون بالشرق أهل آسيا وإفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم، وهوية نحن من بعد هذا الاستعمار والدهلة كانت قد ثبتت اصطلاحا واستعمالا فهي قديمة في مفهومها ودلالاتها فقد كان في العالم من القديم قوتان تتصارعان وتتنازعان السيادة إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب.

يتموضع نص عمارة لخوص الموسوم "كيف ترضع الذئبة من دون أن تعضك" ضمن الرواية العربية التي عالجت العلاقة بين الشرق والغرب[3]، وهي تناقش على وجه الخصوص قضية الهجرة إلى أوروبا وانعكاساتها على السكان الأصليين والمهاجرين على السواء، ويتميز هذا النص الروائي بتقديم

(1) سالم الأعوج: الأدب وحوار الحضارات المنهج والمصطلح والنماذج، ص12.

قول الشاعر البريطاني راجع: زكي نجيب محفوظ ،أفكار، دار الشرق، ط1، 1983، ص35.

(2) قول الشاعر البريطاني رابيان كيلينج: زكي نجيب محفوظ ،أفكار ومواقف، دار الشرق، ط1، 1983، ص35.

(3) إبراهيم سعدي: الجنس والهجرة وجدلية الذكورة والأنوثة، ضمن مجموعة من المؤلفين، السرد والحكاية، قراءات في الرواية المغربية، تنسيق شعيب خليفي: منشورات كلية الآداب، بتمسك الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص111.

صورة جامعة ترسم معيش مهاجرين من إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وحتى من أوروبا، وتدور أحداث الرواية في عمارة في العاصمة الإيطالية روما.

يشتغل المنجز التخييلي للرواية "فكريا وجماليا ببناء تفاعل حضاري متمفصل إلى مستويين، المستوى الأول تغذيه جمالية الحوار المؤسس فكريا على الاتصال باعتباره نسقا معرفيا الوعي بالأنا، ويقوي أفقها المعرفي بالذوات النفسية المنتمية للجماعة المتفاعلة والمتواصلة فيما بينها... وهذا ما يساهم إغناء الكينونة الذاتية وتطويرها والخروج بها من شرنقة الهوية، والمستوى الثاني مؤطرا بجمالية الصراع بين الأنا والآخر أي الشرق والغرب حيث يتحول الحوار دلاليا إلى أداة تكرس سلطة النموذج الذي يتجه صوب ترسيخ الأحادية والأنانية والسيطرة الغطرسة، مما يدعم التقاطه والتعارض بين الحضارات والثقافات الإنسانية"[1]، هذا الطرح تمثله نصبا على مستوى الرواية شخصيات (**البوابة تيبذتا اسبوزيتو**) و(**اليزابات فابياني**) و(**نورانز مانفريدي**)، حيث أبان هؤلاء رفضهم للآخر وكرههم له واحتقارهم لخصوصيته.

تعلن البوابة "**باندا إسبوزيتو**" رفضها للمهاجرين على مدار صفحات الرواية، وهي أثناء ذلك الرفض لا تعمل الاستثناء، فالمهاجر مهما كانت جنسيته ومهما كان دينه يشكل بالنسبة لها كيانا مزعجا وآخر غير مرغوب فيه، لأنه يترك بلده ويزاحم الايطاليين في العمل، تقول عن ذلك "ما أكثر الشبان الايطاليين الذين لا يجدون عملا شريفا، فهم مجبرون على السرقة والكسب غير المشروع، يجب

(1) فايد محمد: الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر اتجاهاتها قضاياها الفنية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2014/2013، ص217.

طرد العمال المهاجرين وتعويضهم بأبنائنا المساكين"[1]. وهي إذ تدعوا إلى طرد العمال المهاجرين من العمل، لا تكتفي بذلك وإنما تصفهم بالمنحرفين وتستعجل السلطات طردهم من ايطاليا كلها، أو الزج بهم في السجون "أتساؤل عن مصير الضرائب التي ندفعها للدولة أليس لحمايتنا من هؤلاء المنحرفين؟ لماذا لا يزجون بإقبال والألباني وبقية المهاجرين المنحرفين في السجون أو يطردونهم من البلد"[2] وهي تؤكد على ذلك أكثر من مرة.

والملفت أن "**باندیا اسبوزیتو**" ترفض الآخر رفضا مطلقا حتى وإن كانت له انتماءاتها الدينية فهي لا طالما استفزت المسيحية البيروفية (**ماريا كريستينا غونزاليزا**) تقول هذه الأخيرة مخاطبة باندیا "لماذا تسيئين معاملتي رغم أننا ننتمي إلى دين واحد ويجمعنا حب الصليب ومريم العذراء"[3].

ويزداد الطابع الصدامي لعلاقة "**باندیا**" بالمهاجرين بعد حادثة مقتل الشاب" **لورانس مانفريدي**" حيث وجهت أصابع الإتهام إلى المهاجرين على وجه الخصوص تقول" **باندیا**" ممعنة في رفض الآخر واحتقارها: "أنا متأكدة من أن قاتل الشاب "**لورانس ومانفريدي** "هو واحد من المهاجرين ويجب على الحكومة أن تتصرف بسرعة عما قريب سيطردوننا من بلدنا يكفي أن نتجول بعد الظهيرة في ساحة فيتوريو فترى أن الأغلبية الساحقة من الأطفال أجانب من المغرب وروما والصين والهند وبولونيا والسنغال وألبانيا، إن العيش معهم مستحيل، لهم دين وعادات وتقاليد مختلفة عنا في بلدانهم يسكنون في العراء أو في الخيام ويأكلون بأيديهم ويركبون على الحمير والجمال،

(1) عبد الرحمن التمارة: سردية التفاعل الحضاري في رواية من يبكي النوارس لزهرة المنصوري، ص216.

(2) عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعرضك، ص38.

(3) الرواية، ص39.

ويعاملون النساء كالعبيد، أنا لست عنصرية لكن هذه هي الحقيقة، ثم لماذا يأتون إلى إيطاليا لا أفهم البطالة منتشرة بكثرة[1]عندنا... إذا كانت فرص العمل غير متوفرة لأهل البلد كيف نستطيع استقبال هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين، لا تخلو نشرات الأخبار التلفزيونية يوميا من مشاهد سفن المهاجرين غير الشرعيين الذين يحملون الأمراض المعدية كالطاعون والملاريا"[2]، ولعل القارئ لاحظ أن البوابة ورغم كل ما قالته صرحت بأنها ليست عنصرية.

ويتضح العداء للشرق لدى "**إيليزابات فابياني**" في صورة أكثر حدة فهذه الإيطالية تجعل المهاجر في مرتبة أدنى من الكلب، تقول: "تشهد ساحة فيكتوريا من حين لآخر مسيرات للمطالبة بحقوق المهاجرين الحق في العمل، الحق في السكن، الحق في الصحة، الحق في الانتخابات... إلخ، أنا أقول أنه من الواجب أن نبدأ بأهل البلاد الأصليين الذين ولدوا في ايطاليا من أبناء هذا البلد، أنا لا أثق في المهاجرين قرأت مؤخرا في إحدى الصحف أن شابا ،مهاجرا اغتصب سيدة مسنة أعطته كل شيء بطاقة الإقامة والعمل والسكن هل هذا جزاء الإحسان؟ هل سمعتم في حياتكم عن كلب اغتصب سيدته؟[3].

ولأنها متأكدة من صحة الصورة النمطية التي يرسمها الإعلام الغربي عن المهاجرين تضيف مؤكدة عدائها للمهاجرين واحتقارهم، الحقيقة أننا لسنا بحاجة إلى المهاجرين نستطيع الاستغناء عن

(1) عمارة لخوص : المرجع السابق، ص2.
(2) عمارة لخوص:كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص40، 41.
(3) المرجع نفسه، ص 64

المهاجرين بسهولة يكفي أن ندرب كلابنا تدريبا جيدا..."[1] فالكلاب من منظورها أرقى من المهاجر.

إن "الجهل بالآخر أبرز أسباب رفضه"[2]، لأجل ذلك يستمر صدام الأنا والآخر بين الذوات النصية في رواية عمارة لخوص فهذا الشاب "**لورانز ومانفريدي**" قبل مقتله يخاطب الإيراني لارويز قائلا: "أنت في بيتي لا حق لك في الكلام هل فهمت أيها الأجنبي الحقير؟... ثم أخذ يصرخ في وجهه "إيطاليا للإيطاليين إيطاليا للإيطاليين"[3]، هذه العنصرية ستجعل الذوات الممثلة للأنا ترفض وضعها فهذا عبد الله بن قدور المهاجر الجزائري يعلن تمسكه بانتمائه دينا واسما ولغة:

لن أغير جلدي ولا ديني ولا لغتي ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث، أنا فخور بنفسي ليس مثل المهاجرين الذين يغيرون أسمائهم حتى ينالوا رضا الإيطاليين"[4]، خاصة وأنهم ينفرون من كل الذين لا يشبهون في اللغة والعادات.

ولأن الآخر العربي ورغم كونه مهاجرا أيضا شعر بأفضليته فإنه لا يصدق أن يكون مهاجر عربي مثل أحمد السالمي أميديو وملما باللغة الايطالية وبالتاريخ وبالثقافة فالطالب الهولندي يوهان فان مارتن لا يكاد يصدق أن أميديو أجنبي؟ "هل يعقل أن يكون الشخص الذي يمثل إيطاليا العظيمة أجنبيا؟ إنه الوحيد الذي يجيب عن كل أسئلتي المتعلقة باللغة الإيطالية والمافيا والطبخ

(1) المرجع نفسه ، ص65.

(2) ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، ص23.

(3) عمارة لخوص: (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) ، ص22.

(4) المرجع نفسه ، ص130.

والسينما..."[1]، لأن الرواية قدمت أميديو على أنه صديق الجميع، للايطاليين والمهاجرين وبأنه عارف بإيطاليا لغة وثقافة وتاريخا، لا أحد صدق اتهامه بقتل "الغلادياتور" ولا أحد صدق أنه مهاجر.

كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك؟

إنها رواية الوجع الإنساني ، والألم الممتد بامتداد مسافات الخيبة والمرارة ، والضياع والتشتت، و الغربة والاغتراب والتشرذم والتسكع..

إنها رواية صوتها مرعب لأنها تسمعك أصوات عواء وعويل وفزع ورعب، إنها فضاء روائي يصيح فقدا وفجائعية، هي موضوع يناقش عدة جدليات، وثنائيات، وحكاية تتناسل منها حكايات، تعيش الألم والوحشة، وتعوي عواء إنسانيا مشتركا ، عوالم مهاجرة من ثقافة إلى ثقافة من حضارة إلى أخرى، من حضارة المغلوب إلى حضارة الغالب ..إنها رواية ترسم صورة الغرب بعيون عربية ، تنشد الموضوعية ..فهل تسلم الصورة من رتوش المعاناة والفقد والحرمان، فهل تستقيم نظرة من هو ملتاع من الاغتراب، ويشعر بالقرف يجتاحه من كل مكان يحيط بعوالمه ، ليصور الغرب من الداخل، في داخل مكونات الصورة، فلا تستغرب أيها المرتحل عبر عوالم الرواية عندما تتشكل في ذهنك صورة لأشخاص باذخين في حياة الترف، وفي التنزه بالمرافئ العامة ، وتجد صورة ابن بلدك، حضارتك، عروبتك، بائع مناديل، أو ماسح أحذية أو غاسل أطباق في محل بيتزا ..فما هو متنازع عليه ..السفر والاغتراب من أجل مهن بسيطة لا تتوافق وطموح هذا العربي الذي دفع كل ما يمتلك ، حتى يعيش

(1) المرجع نفسه ، ص98.

التهميش في مدارك الروح المظلمة، إنها رحلة مضنية في رواية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، للروائي الجزائري عمارة لخوص.

خاتمة

إن عملية البحث في الرواية البوليسية، وأصولها التاريخية، وخصائصها الفنية، وانعكاساتها على الأدب العربي مسألة تتعلق بأساليب الحياة. والقيم والمعايير والنظم الاجتماعية، ومستوى المجتمعات وتراثها الأدبي والتكنولوجي، أي بحضارتين مختلفتين مع ما يتسع له لفظ الحضارة من دلالات وأبعاد عند علماء الأنثروبولوجيا والإجتماع. ويمكن إيجاز أهم نتائج هذه الدراسة إلى:

- أولا: من خلال تطرقنا لبعض التعاريف المسندة للرواية البوليسية ونظرية التغيير الثقافي والاجتماعي، استخلصنا أن هذا التباين يرجع أساسا إلى الاعتبار الذي يوليه دارسي الرواية البوليسية، كما اتضح لنا في هذا البحث أن أغلب هذه التعاريف متأثرة من قريب ومن بعيد بالتعاريف المسندة للأدب عموما، والرواية على وجه الخصوص.
- ثانيا: حاولنا من خلال هذه الدراسة توضيح مفهوم الهوية، واستخراج أضرب الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون ان تعضك للروائي الجزائري عمارة لخوص، وقد توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إبرازها في ما يلي:

1. اهتمت الرواية الجزائرية المعاصرة بمسألة الهوية التي تشكل خصوصيتها الأساسية لتعكس تساؤلات الفرد الجزائري عن العلاقة التي تربطه بأرضه ووطنه.
2. كما نجد هنا الروائي في روايته يدعو إلى تطوير الوعي بالهوية، ورغم الصعاب التي يواجهها الأشخاص أثناء الاحتفاظ بهويتهم خارج أوطانهم.
3. كما نلاحظ في هذه الرواية الاختلاف بين شخصياتها إلا أنها قد حافظت هوياتها الأصلية رغم اغترابها.

4. كما صورت لنا الرواية حياة المهاجرين الذين يعانون الحرمان والطيش والاتهامات بكل أنواعها.

5. هناك هوية برزت في هذه الرواية بل بالأحرى ركز عليها الروائي، وهي الهوية الجزائرية التي تظل صامدة رغم التيارات الغربية الذي تواجهها.

6. الهوية هي القوة الخفية التي تحرك الذات وتجعلها قادرة علي الشعور والممارسة، ومن خلالها تظهر هوية المهاجر وعاداته وتقاليده وطريقته الدينة وعيشته وأحلامه ولغته.

7. وظف عمارة لخوص في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" المحكي البوليسي توظيفا رمزيا، رمزيته تتمثل في الحديث عن قضايا إنسانية مثل قضية الهوية ... وغيرها.

قائمة

المصادر والمراجع

المعاجم"

1. محمد القاضي ، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

2. المنجد في اللغة العربية المعاصرة: دار المشرق، بيروت، ط2، 2001.

المصادر:

1. عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات الإختلاف، الجزائر 2000.

المراجع:

1. إبراهيم العريس: الرواية البوليسية، فضاء السلطة وفضاء الشعب، جريدة الحياة، الأربعاء 28 ديسمبر ،كانون الأول 2016.

2. إبراهيم سعدي: الجنس والهجرة وجدلية الذكورة والأنوثة، ضمن مجموعة من المؤلفين، السرد والحكاية، قراءات في الرواية المغربية، تنسيق شعيب خليفي، منشورات كلية الآداب، بتمسك الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.

3. أحمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010.

4. إدوارد سعيد: الثقافة الإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، د. ط، 2004.

5. الإمام محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في النقد الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

6. شعيب حليفي: المحكي البوليسي في الرواية العربية، مختبر السرديات، العرب الدار البيضاء ، د .ط، 2012.

7. شعيب حليفي: شعرية الفتانتاستيكية، دار الأمان الرباط، 1430هـ،2009م.

8. عبد الرحمن التمارة: سردية التفاعل الحضاري في رواية من يبكي النوارس لزهرة المنصوري.

9. عبد القادر شرشار: الرواية البوليسية(أصولها وتاريخها وخصائصها الفنية وأثرها في الرواية العربية المعاصرة)، الدار الجزائرية للنشر، الجزائر العاصمة، ط 2015.

10. عمرو علي بركات: ألف ليلةوليلة ، أول رواية بوليسية، 12- 06- 2012.

11. فريد أنطونيوس : بحوث في الرواية الجديدة ، منشورات عويدات ، ط2 لبنان 1982.

الرسائل الجامعية:

1. سميرة قدورة: صليحة بوودن ، الجريمة و العقاب، دراسة سردية ، شهادة ماستر ، إشراف ليلى جباري، كلية الآداب و اللغات ، جامعة قسنطينة ، ماي 2011.

2. فايد محمد: الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر اتجاهاتها قضاياها الفنية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2013- 2014.

3. مصطفى فاسي: البطل المغترب في الرواية العربية مذكرة درجة الدكتوراه إشراف عبد الله الركيبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2006.

المجلات:

1. أحمد توفيق : الرواية البوليسية العربية، مجلة الفصول، عدد76، الهيئة المصرية للكتاب، 2009.

2. جلال فاروق الشريف: حول مسألة إشكالية الأدب العربي الثوري، الموقف الأدبي، العدد 2 + 1، ص 1، كانون الأول والثاني، دمشق، 1998.

3. شعيب حليفي: الرواية البوليسية العربية، مجلة الفصول،عدد76،الهيئة المصرية للكتاب، 2009.

4. عبد الرحيم مؤدن: القصة البوليسية في الأدب المغربي الحديث، مجلة فصول.

5. نبيل فاروق : الرواية البوليسية (اختفاء القراء وإهمال النقاد) المجلة العربية، الرياض، ع 473، مارس 2016.

6. يتين بيليبر: الثقافة والهوية (مدونة عمل)، ترجمة عبد الله الكندي، مجلة نزوى العدد 28 أكتوبر 2001.

الملتقيات:

1. عثمان حسن : رواية التقلبات الإجتماعية ، ملتقى الخليج الثقافي ، 27-04-2015

2. هاني غانم : الروائي الجزائري عمارة لخوص و تجربة التنقل بين الثقافات ، مراجعة طارق أزكاي ، fromdw.com

3. ناصر أحمد: الجاسوسية في الدراما والأدب، ملتقى شذرات، سبتمبر 2013 www.shatharat.com

الموسوعات:

3. موسوعة المصطلحات العلمية (الموسوعة في علوم الطبيعة) تقديم فؤاد افرام البستاني ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان

الإهداء

مقدمة ..... **أ–ج**

الفصل الأول: الرواية البوليسية

1. مفهوم الرواية البوليسية 09
2. نشأة الرواية البوليسية 13
3. الأشكال القصصية البوليسية 18
4. الرواية البوليسية العربية 26
5. الرواية البوليسية الجزائرية 28

الفصل الثاني: العناصر الفنية للرواية البوليسية

1. تجليات المحكي البوليسي في الرواية. 35
2. دلالات المحكي البوليسي في الرواية. 38
3. إشكالية الهوية 44
4. العلاقة بين الشرق والغرب 55

خاتمة 62

قائمة المصادر والمراجع 65

فهرس المحتويات 69

ملخص .....

ملخص البحث:

تعالج رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" "لعمارة لخوص"، قضية اجتماعية واقعية، وما تخلقه هذه الظاهرة في بلد الغربة وحياة الاختلاف التي يعيشها المهاجر.

والهدف من هذا البحث هو معالجة العناصر البوليسية من أحداث الرواية "التحقيق، الجريمة" فالكاتب طرح لنا جملة من القضايا خرج بها من خلال هذه النصوص الروائية الجزائرية المعاصرة، بالتحديد قضية صراع الحضارات.

Résumé de la recherche:

Le roman "Comment allaiter d'un lupus sans qu'il te morde" d'Amara Lakhous traite d'un problème de société réaliste, et de ce que ce phénomène crée dans le pays de l'aliénation et de la vie de différence que vit l'immigré.

Le but de cette recherche est d'aborder les éléments policiers des événements du roman «l'enquête, le crime », comme l'écrivain nous a présenté un certain nombre de questions qu'il a soulevées à travers ces textes de roman algérien contemporain, notamment la question de le choc des civilisations.

Research Summary:

The novel "How to breastfeed from a lupus without it biting you" by Amara Lakhous deals with a realistic social issue, and what this phenomenon creates in the country of alienation and the life of difference that the immigrant lives. The aim of this research is to address the police elements from the events of the novel "the investigation, the crime", as the writer presented to us a number of issues he came up with through these contemporary Algerian novel texts, specifically the issue of the clash of civilizations.